الْفَاتِحَةُ وَقَصَصُ الْقُرْآنِ الْكَرِيْمِ

إِعْدَادُ

فَضِيْلَةِ الشَّيْخِ الدُّكْتُوْر

وَلِيْد السَّمَامْعَة حَفِظَهُ اللهُ

الحمد لله الذي رفع من أرادَ به خيرًا بالعلم والإيمان، وخذل المُعرضِين عن الهدى وَعَرَّضَهم لكلِّ هلاكٍ وهوان، أكرمنا بنبيٍّ كريمٍ واصطفاه على الإنس والجان، أنزل عليه كتابًا كريمًا وعلَّمَه البيانَ، وأشهدُ أنْ لا إلٰه إلا اللهُ وحدَه لا شريك له الكريمُ المنَّانُ، سبحانه لا يـجري عليه زمان، ولا يحويه مكان، بَلْ لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزُولُ لِاخْتِلَافِ الْأَزْمَانِ، وَلَا لِتَقَلُّبِ شَانٍ بَعْدَ شَانٍ، من زَعَمَ أَنَّ إلهنا محدود فقد جهل إلٰه الأكوان، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، الّذي كمّل الله له الفضائل والحُسنَ والإحسان، أَحْمَدُهُ حَمْدًا يَمْلأُ الْمِيزَانَ، وَأُصَلِّي عَلَى رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ سيدِ ولد عدنان، وَعَلَى صَاحِبِهِ أبي بَكْرٍ أَوَّلِ مَنْ جَمَعَ الْقُرْآنَ، وَعَلَى عُمَرَ الْفَارُوقِ الَّذِي كَانَ يَخَافُ مِنْهُ الشَّيْطَانُ، وَعَلَى زَوْجِ الابْنَتَيْنِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، وَعَلَى عَلِيٍّ بَحْرِ الْعُلُومِ وَسَيِّدِ الشُّجْعَانِ، فصلّى اللهُ وسلّم على محمدٍ مدى الأزمان، وعلى ءاله وأصحابه الطّيبين والتابعين لهُم بإحسان. أما بعد:

يقول الله تعالى: ((**وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا**))، أنعم الله علينا بنعم كثيرة في هذه الدنيا، ومن أعظم هذه النِّعَمِ نعمة هذا العمر إذا شغلناه في طاعة عز وجل، فقد روى البخاري عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ**»، وروى البيهقي عن عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه كان يَقُولُ: «**إِنَّ هَذَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِزَانَتَانِ، فَانْظُرُوا مَا تَضَعُونَ فِيهِمَا**»، وإن العاقل ليغتنم ساعاتِ عمره ولا يضيعها في غير طاعة الله عز وجل، لا سيَّما إذا أحياه الله وأبقاه لمثل هذا الشهر العظيم، شهر رمضان الكريم المبارك، هي أيام معدودة قصيرة تمضي كالخيال وها هو سيد الشهور أقبل علينا، إنه شهرُ التوبة والرحمة والإحسان والزهد والخيرات والبركات، شهر

رمضان شهر ينتظره العباد والصالحون، ينتظرون أيامَه ولياليَه ليزدادوا بالطاعات نساءً ورجالا صغارا وكبارا، اقتداء بالصالحين من علماءَ وفقهاءَ وعاملين، إن شهر رمضان أقبل بأنواره وذكرياته الطيبة حيث تفرح به القلوب وتستبشر به النفوس، ولكن كيف كان يغتنمه الصالحون، ماذا كانوا يفعلون في هذا الشهر الكريم، لقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يخرّج العلماء في شهر رمضان يعتكفون في المسجد ويَدرسون ويدرّسون، هذا شأنهم. علموا أن أيامَ الدنيا قصارٌ وأيامَ الآخرة طوالٌ ومهما أكثر الإنسان من الحسنات فإنه ينتفع بها في الآخرة الباقية التي ليس لها نهاية فأقبلوا في شهر رمضان شهرِ التوبة والرحمة والمغفرة، شهرِ القرآن، شهرِ الفتوحات والبطولات، إلى الخيرات والبركات وأعمال البر والطاعات وتذكروا أن النبي ﷺ كان أجودَ ما يكون في رمضان، وقد بكى بعض الصالحين فقالُوا: ما يُبكيكَ؟ فقالَ: على يومٍ مضَى ما صُمتُهُ وعلى ليلةٍ ذَهبتْ ما قمْتُهَا. وكانَ أربعونَ رجُلًا مِنَ السلفِ يُصلُّونَ الصبحَ بوَضوءِ العشاءِ، وكانتْ رابعةُ العدويةُ تُحْيِي الليلَ كلّهُ فإذا طلَعَ الفجرُ هَجَعَت هَجْعَةً خفيفةً (أي نامت نومًا خفيفًا) ثمّ قامَتْ فزِعةً وقالَتْ لِنفسِهَا: يا نفس كم تنامين، وإلى كم تقومين، يوشك أن تنامي نومة لا تقومين منها إلا ليوم النشور.

وإن من أعز ما نشغل به أوقاتنا في هذا الشهر الكريم المبارك مجالسَ علم الدين والقيامَ والتهجدَ وتلاوةَ القرآن والصدقاتِ بأنواعها، وقد كان اهتمام السلف الصالح بعلم الدين عظيما لذلك كثر الخير في هذه الأمة في عصرهم، فقد روى الترمذيُّ عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: **(مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ علْمًا سهَّل اللَّه لَه طَرِيقًا إِلَى**

الجنةِ، وَإِنَّ الملائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطالب الْعِلْمِ رِضًا بِما يَصْنَعُ، وَإِنَّ الْعالِم لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَواتِ ومنْ فِي الأَرْضِ حتَّى الحِيتانُ في الماءِ، وفَضْلُ الْعَالِم عَلَى الْعابِدِ كَفَضْلِ الْقَمر عَلى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وإِنَّ الْعُلَماءَ وَرَثَةُ الأَنْبِياءِ وإِنَّ الأَنْبِياءَ لَمْ يُورِّثُوا دِينَارًا وَلا دِرْهَمًا وإِنَّما ورَّثُوا الْعِلْمَ، فَمنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحظٍّ وَافِرٍ). قال ابن حبَّان: فِي هَذَا الحديث بَيَانٌ وَاضِحٌ أَنَّ الْعُلَمَاءَ الَّذِينَ لَهُمُ الْفَضْلُ الَّذِي ذَكَرْنَا، هُمُ الَّذِينَ يُعَلِّمُونَ عِلْمَ النَّبِيِّ ﷺ، دُونَ غَيْرِهِ مِنْ سَائِرِ الْعُلُومِ. أَلَا تَرَاهُ يَقُولُ: (**الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ**). وَالأَنْبِيَاءُ لَمْ يُوَرِّثُوا إِلَاّ الْعِلْمَ، وَعِلْمُ نَبِيِّنَا ﷺ سُنَّتُهُ، فَمَنْ تَعَرَّى عَنْ مَعْرِفَتِهَا لَمْ يَكُنْ مِنْ وَرَثَةِ الأَنْبِيَاءِ. وقد قال الفقيه المفسر ابنُ جزيٍّ القرطبيُّ الأندلسيُّ رحمَهُ اللهُ فيمَا نقلَه الحافظُ ابنُ حجرٍ:

لِكُــلِّ بَنِي الدُّنْيَــا مُرَادٌ وَمَقْصِدُ وَإِنَّ مُـرَادِي صِحَــةٌ وَفَــرَاغُ

لِأَبْلُــغَ فِي عِلْمِ الشَّرِيْــعَةِ مَبْلَغًا يَكُــونُ بِهِ لِي فِي الْحَيَــاةِ بَلَاغُ

فَفِي مِثْلِ هَذَا فَلْيُنَافِسْ أُولُو النُّهَى وَحَسْبِي مِنَ الدُّنْيَا الْغَرُورِ بَلَاغُ

فَمَـا الْعَيْشُ إِلَّا فِي نَعِيْــمٍ مُؤَبَّــدٍ بِهِ الْعَيْشُ رَغْدٌ وَالشَّرَابُ يُسَاغُ

وإننا سنتذاكر في هذا الشهر العظيمِ هذا بإذن الله تعالى قصصَ القرآن الكريم من بدايته إلى ما يتسع ذكرهُ لنا في شهرنا إن شاء الله تعالى، وهذا يشمل قصص الأنبياء وغيرِهم مما هي في القرآن الكريم. فإن لدراسة كتاب الله وفهم معانيه فوائدَ عظيمةً ومزايا جليلةً فهو أعظم الكتب السماوية وأجلها قدرا ومنزلة عند الله تعالى، وهو أَفضلُ معجزات نبينا ﷺ وأَكملُها وأَجلُّها وأَعظمُها، وفيه من الإعجاز ما جعل بعض من سمعه يسلم فورا دون

تردد، وبهذا شهد الموحدون وكثير من المشركين، فهنيئا لمن شغل وقته في هذا الشهر المبارك بتعلم تفسير كتاب الله وفهم آياته، فقد روى الشيخان عن عثمانَ بنِ عفان رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**»، وروى ابن ماجهْ عَنْ أَبِي ذَرٍّ الغفاري رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَا أَبَا ذَرٍّ، لَأَنْ تَغْدُوَ فَتَعَلَّمَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ مِائَةَ رَكْعَةٍ**»، ولأجل أن ننال هذه الفضائلَ ونلحقَ بركب الصالحين من هذه الأمة نشرع بإذن الله بتفسيرِ مواضعَ منتقاةٍ من كتاب الله العزيز وهي قَصص القرآن الكريم ونبدأ بفاتحة الكتاب تبركا بها فهي أعظم سورة في كتاب الله كما روى البخاري وغيره عن أبيِّ بنِ كعب رضي الله عنه، وبها افتتاح أعظم الكتب السماوية، وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في فضائلها الشيء الكثير، ورقى بها بعض الصحابة ملدوغًا فبرئ بإذن الله من ساعته، وروى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (**مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأُمِّ الْقُرْآنِ فَهِيَ خِدَاجٌ ثَلَاثًا**) وأوصى النبي ﷺ أن تقرأ عند الميت، وثبت للفاتحة فوائد كثيرة، وهي جامعة لمعانٍ كثيرةٍ عديدةٍ وفيها من الفوائد والفضائل ما لا يعلمه إلا الله عز وجل، ومن خواصها:

1. تشفي من الطاعون بإذن الله.
2. تشفي من وجع العينين بإذن الله.
3. تنفع لإزالة الهم بإذن الله.

ولها غير ذلك من الفضائل والخصائص بإذن الله تعالى، فالفاتحة فيها بركة عظيمة لا يحصيها إلا الله عز وجل ولكن لا يجوز كتابتها بالبول كما يفعل بعض الجهال ويظن أنه

يستشفي بها والعياذ بالله. فهذا تحقيرٌ بالغ للقرآن وهو خروج من الدين والعياذ بالله، واختلف الفقهاء في موضع نزولها على التحديد، وقد نصوا على العديد من الأسماء لها، وذلك يدل على شرفها فإن كثرة الأسماء دالة على شرف المسمَّى.

تفسير سورة الفاتحة: قبل أن نبدأ بتفسير الفاتحة نذكر تفسير الاستعاذة وهي قولنا: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، والِاسْتِعَاذَةُ لَيْسَتْ مِنَ الْقُرْءَانِ إِجْمَاعًا وَمَعْنَاهَا أَسْتَجِيرُ بِاللَّهِ لِيَحْفَظَنِي مِنْ أَذَى الشَّيْطَانِ، وفيها إشارة لمخالفة الشيطان الرجيم والاستجارة بالله من شروره، وهي تصرف عنك الشيطان الرجيم بإذن الله، فالشياطين تؤذي الناس إلا من حفظه الله من ظلمها، فسلطانُ إبليس وأعوانِه غالبا على الذين يوالونه ويَتَّبِعُوْنَ وساوسه وليس على العلماء.

البسملة: ((**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**)):

البسملة آية عظيمة يضم معناها أبوابًا كثيرة من العقائد، كان يأمر النبي ﷺ بكتابتها في بداية رسائله، وهي أول آيات الفاتحة، وقد اختلف الفقهاء في كون البسملة آيةً من الفاتحة أم لا، ويستحب ذكرُها في مواضع كثيرة منها:

1. عند دخول البيت وعند الخروج.
2. للحفظِ والتحصينِ صباحًا مساءً.
3. للاستشفاء والرقية.
4. عند دخول المسجد والخروج منه.

5. عند غلق الأبواب وتغطية الآنية.

6. عند النوم.

7. في أوّل الخطب ومقدمات الكتاب.

8. عند دخول الخلاء وعند التَّعري.

9. في أول الوضوء.

10- عند الأكل.

11-عند الجماع.

12-عند الذبائح والصيد.

13-عند وضع الميت المسلم في قبره.

14-عند الغزو.

15-عند الإصابة في المعركة.

وفي غير ذلك من المواضع، ففضل البسملة عظيم وأسرارها كثيرة لا يحصيها إلا الله عز وجل وقد ذكر الفقهاء لها خصائص كثيرة.

التفسير: ابتداء الفاتحة باسم الله معناه أبتدئ فعلي هذا ذاكرا لاسم الله الأعظم المفرد مستعينا به في عملي، فنحن نقولها متبركين بها في ابْتِدَاءِ الْقِرَاءَةِ، ففيها إثبات معنى التوكل والاستعانة برب العزة عز وجل.

((**الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**))، **التفسير**: الْحَمْدُ هُوَ الثَّنَاءُ بِاللِّسَانِ عَلَى الْجَمِيلِ الِاخْتِيَارِيِّ.

وللحمدلة فضائل كثيرة ثبتت في أحاديث النبي ﷺ، وفيها وصفُه سبحانه بـ ((**رَبِّ الْعَالَمِينَ**)): أي المالكِ لكلِّ ما دخل في الوجود، وفيها إثبات الربوبية لله عز وجل.

قال تعالى: ﴿**الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ**﴾، **التفسير**: مَعْنَاهُ أَنَّ اللَّهَ شَمِلَتْ رَحْمَتُهُ الْمُؤْمِنَ وَالْكَافِرَ فِي الدُّنْيَا وَهُوَ الَّذِى يَرْحَمُ الْمُؤْمِنِينَ فَقَطْ فِي الآخِرَةِ وَالرَّحِيمُ هُوَ الَّذِى يَرْحَمُ الْمُؤْمِنِينَ.

قال تعالى: ﴿**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾: **التفسير**: أَيْ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَالِكُ وَهُوَ الْمُتَصَرِّفُ فِي الْمَخْلُوقَاتِ كَيْفَ يَشَاءُ، وَيَوْمُ الدِّينِ هُوَ يَوْمُ الْجَزَاءِ، وهو أشد الأيام التي خلقها الله وأشقها، إلا على من سلمه الله وهون عليه.

قال تعالى: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾: **التفسير**: أَيْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَحْدَهُ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ أَنْ يُتَذَلَّلَ لَهُ نِهَايَةُ التَّذَلُّلِ وَهُوَ الَّذِى يُطْلَبُ مِنْهُ الْعَوْنُ عَلَى فِعْلِ الْخَيْرِ وَدَوَامِ الْهِدَايَةِ لِأَنَّ الْقُلُوبَ بِيَدِ اللَّهِ تَعَالَى، وقد عرف الصلحاء من هذه الأمة هذا المعنى فانقطعوا لعبادة لله عز وجل وتجردوا لها، وكانت استعانتهم بالله تعالى فهو خير من يستعان به ويلتجأ إليه سبحانه.

تنبيه: وليس معنى قوله تعالى: ((**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِيْنُ**))، أنه لا يتوسل بالأنبياء والأولياء والصالحين، لا، بل إنه ثبت في العقل والنقل جواز ذلك من باب الأخذ بالأسباب والأخذ بالأسباب مع اعتقاد أن الله خالق كل شيء لا يعارض الدين ولا يقدح في التوحيد وهو أمر جائز مجمع على جوازه، فمعنى الآية إذًا: نحن نطلب منك يا رب أن تخلق لنا العون وهذا لا يقدر عليه أحد غيرك، وقد حثنا الشرع الحنيف على أن نسأل الله كل شيء نريده من خيري الدنيا والآخرة وعلى هذا كان السلف الصالح رضوان الله عليهم، وفي قوله تعالى: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾: الحث للعباد أن يستعينوا بالله القادر على كل شيء.

قال تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾: التفسير: أَيْ أَكْرِمْنَا بِاسْتِدَامَةِ الْهِدَايَةِ عَلَى الإِسْلامِ.

توضيح وتنبيه: الصراط المستقيم أي الإسلامُ: هو دينُ اللَّهِ الذي رضيه لعباده الصالحين وهو دين الله في الأرض والسماء، وهو الَّذي كانَ عليهِ جميعُ الرسلِ، فلم ينزل جبريل على نبي من الأنبياء بغير الإسلام، كما قالَ نوحٌ: ((**وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ**)) وقال تعالى: ((**مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**))، وقد وصف النبي ﷺ الأنبياء بقوله: (**دِيْنُهُمْ وَاحِدٌ**) رواه البخاري.

والشيطانُ يريد أن يُبعِدَنا عن الصراط المستقيم وهو يأمرُ بسلوكِ الطرقِ التي عن يمينِ الصراطِ وشمالِهِ، فهنيئا لمن غلب الشيطان وثبت على الإسلام ففيه نجاتنا من الخلود في النيران.

وقد وصفَ اللَّهُ في سُورةِ الفاتحةِ الصراطَ بأنَّه: ((صِرَاطَ الذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِم))، التفسير: أَيْ دِينَ الَّذِينَ أَكْرَمْتَهُمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالْمَلائِكَةِ وَهُوَ الإِسْلامُ.

إشارة: هذا بمثابة زيادة توضيح لحال من خُتِمَتْ سورة الفاتحة بذكرهم ومن خُتِمَت في الاستعاذة من طريقهم: فالذين أنعم الله عليهم هم الذين رضي لهم الإسلام دينا وهم أهل السنة والجماعة فهم عدول دائما بين أطراف شذوذ، هم جمهور هذه الأمة الأشاعرة والماتريدية، فأهل السنة والجماعة ممن كانوا على هذه العقيدة قد أنعم الله عليهم وظهر هذا الإنعام في حياتهم وبعد وفاتهم.

﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ وَهُمُ الْيَهُودُ ﴿وَلا الضَّآلِّينَ﴾ وَهُمُ النَّصَارَى.

وَمَعْنَى الْغَضَبُ فِي صِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى إِرَادَةُ الْعُقُوبَةِ.

إشارة: وصفت الآية الكريمة اليهودَ بأنهم مغضوب عليهم، واستحقوا هذا الوصف لأنهم كفروا بالله فتجرؤوا على تشبيه الله بخلقه.

تتمة: ءَامِين لَيْسَتْ مِنَ الْقُرْءَانِ إِجْمَاعًا وَمَعْنَاهَا اللَّهُمَّ اسْتَجِبْ.

خاتمة لتفسير سورة الفاتحة: سورة الفاتحة التي هي أعظم سور القرآن الكريم، الذي هو أعظم الكتب السماوية المنزلة على أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام، ينبغي لنا أن نفهم معانيها السامية العظيمة ونتفكر فيما حوته من مسائل عقائدية، وما حوته من معان رفيعة فيها معنى التجرد لعبادة الله وحده والالتجاء إليه والاستعانة به ودعاؤه، فالمسلمون في أيام انتشار الكروب، وأيام ابتعاد كثير من الناس عن هذه المعاني يحتاجون لنشر هذه الفضائل بينهم حتى يرجعوا إلى طاعة الله كما ينبغي، ونشر هذه المعاني بين الناس لا يكون فقط بمجرد قراءة الفاتحة دون تلق للعلوم التي حوتها، بل هذا يكون بالالتصاق بمجالس العلم والثبات عليها، فكم من المسلمين يقرأون الفاتحة كل يوم ولا يعون كثيرا من هذه المعاني التي تنكشف لطالب العلم، وصدق نبينا الكريم صلوات ربي وسلامه عليه إذا قال فيما رواه البخاري: (**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِيْ الدِّيْنِ**).

قصص القرآن الكريم:

حثنا الشرع الحنيف أن نتفكر في قَصص من كان قبلنا سواء كان أنبياءَ أم غيرَ ذلك، لنأخذ منها العظاتِ والعبرَ.

الْقِصَّةُ الأُوْلَىْ: قِصَّةُ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

أول قصة مذكورةٍ في كتاب الله هي قصةُ سيدِنا آدمَ عليه السلام وزوجتِه حواء، وفيها ذِكْرُ بَدْءِ خلقِ الإنسانِ وصراعِه مع إبليسَ الشيطانِ عدوِّ اللهِ وعدوِّ أنبياءِ الله عليهم الصلاة والسلام.

تعريفٌ بنبي الله آدم عليه السلام:

سيدُنا ءادم عليه السلام هو أبو البشر وأول إنسان خلقه الله تعالى، وهو أول النوع البشري الذي فضله الله على سائر أنواع المخلوقات.

ونبوّة آدم اتّفق المسلمون عليها وأجمعوا، أما حديث البخاريّ الذي فيه: «**أن الناس يأتون نوحًا يوم القيامة فيقولون: أنت أوّل الرسل إلى أهل الأرض**» فمعناه أنه أول رسول أُرسل إلى أهل الأرض بعد ظهور الكفر بين البشر.

وقد ذكر الله تعالى آدم عليه السلام في القرآن في عشرين مَوْضِعًا، ويُكَنَّى أَبَا الْبَشَرِ.

والآيات التي نشرحها من سورة البقرة تذكر جانبا من قصة هذا النبي الكريم ومبدأ أمره عليه الصلاة والسلام هو وزوجته حواء عليها السلام، قال الله تعالى: ((**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ**

لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ، وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ، قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ، وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ، وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ، فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ، فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ، قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)).

التفسير: قال تعالى: ((وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً))، أخبر الله الملائكة وأعلمهم أنه سيجعل بني ءادم خليفة في الأرض يسعون فيها ويمشون في مناكبها وينتشر نسلهم في أرجائها، ويأكلون من نباتها ويستخرجون الخيرات من باطنها ويخلف بعضهم بعضًا فيها. فسأل الملائكة ربهم للاستكشاف عن الحكمة في جعله خليفة في الأرض لا للاعتراض، وقالوا ((أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ))، فالملائكة لا يعترضون على الله لأن الاعتراض على الله

كفر، وليس سبب سؤالهم ما قال بعض الناس أن آدم ليس هو أولَ النوعِ الإنسانيِّ، بل هو أول البشر كما جاء في حديث الشفاعة في الصحيحين. وقول الملائكة: ((**وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ**))، أَيْ: نَعْبُدُكَ دَائِمًا لَا يَعْصِيكَ مِنَّا أَحَدٌ.

قال تعالى: ((**قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**))، هذه الآية فيها إثبات صفة العلم لله عز وجل فهو عالم لا كالعلماء.

خلق آدم عليه السلام: جاء ذكر شيء من ذلك في القرآن الكريم وجاء مفصلا في الحديث الشريف، فقد قال تعالى: ((**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ**))، وكان خَلْقُهُ عليه السلام ءاخرَ ساعة من يوم الجمعة كما جاء في حديث مسلم.

كيفية خلقه عليه السلام: روى الترمذي عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبَضَهَا مِنْ جَمِيعِ الأَرْضِ** (أي قبضها مَلَكٌ بأمر الله)، **فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدْرِ الأَرْضِ، فَجَاءَ مِنْهُمُ الأَحْمَرُ وَالأَبْيَضُ وَالأَسْوَدُ وَبَيْنَ ذَلِكَ، وَالسَّهْلُ وَالحَزْنُ وَالخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ**».

وكان آدم عليه السلام وافرَ الشعر شبهه رسول الله ﷺ في الطول بالنخلة السَّحُوق، وكان طوله عليه الصلاة والسلام ستين ذراعًا في سبعة أذرع.

تنبيه: يجب التحذير مما ينقله بعض رواة التاريخ عن اليهود وهو قولهم إن إبليس في ذلك الوقت كان يدخل من فم آدم ويخرج من دبره.

خلق الله الروح في آدم بعد ذلك: كما ثبت في حديث ابن حبان، وكما قال تعالى: ((**وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي**)): ليس معناه أن الله يوصف بالنفخ حقيقة ومباشرة كالأجسام والعياذ بالله تعالى. وهذا الروح التي خلقه الله في آدم هو روح مشرف عنده معظَّمٌ كباقي أرواح الأنبياء فهي أرواح طيبة زكيَّة.

أما معنى قوله تعالى: ((**قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ**))، أي بعنايتي.

فالله تعالى خلق آدم وصوَّره على هيئته المذكورة في الحديث الشريف ستين ذراعا في سبعة أذرع وربنا عز وجل هو المصوِّرُ وليس المصوَّر، أما معنى ما روى مسلم في صحيحه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ فَإِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ**». أي على صورة هذا العبد المضروب، وليس المعنى أن الله موصوف بالصورة والأعضاء، كلا، فربنا عز وجل ليس جسما ولا يشبه الأجسام ولا يوصف بالصورة والكيفية فهي من صفات المخلوقات، والمكيَّف محتاجٌ لمن كيَّفَه والله تعالى لا يحتاج إلى خلقه، فهو سبحانه غنيٌّ عن العالمين.

وكانت خِلْقَةُ آدمَ وصورتُه عليه السلام معتدلةً سويَّةً كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال فيما رواه الترمذي: «**ما بعث الله نبيًّا إلا حسن الوجه حسن الصوت، وكان نبيكم حسن الوجه حسن الصوت**». فلم يكن آدم عليه السلام قردًا ولا يشبه القرود ولا منحنيَ الظهر مكشوفَ العورة ولم يكن قردا ولا يشبه القرود والعياذ بالله تعالى.

ثُمَّ بَيَّنَ سبحانه للملائكة شَرَفَ آدَمَ وفضلَه عَلَى الملائكة فِي الْعِلْمِ فَقَالَ: ((**وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا**))، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هِيَ هَذِهِ الْأَسْمَاءُ الَّتِي يَتَعَارَفُ بِهَا النَّاسُ.

وكان آدم عليه السلام يتكلم كلَّ اللغات فأصول اللغات توقيفية أي عَلِمَهَا الأنبياء بالوحي.

قال تعالى: ((**ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ**)) أي عرض المسمياتِ على الملائكة الكرام.

قال تعالى: ((**فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**))، أي أخبروني بهذه الأسماء.

قال تعالى: ((**قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا**))، معناه العلم الذي فينا أنت خلقته يا الله، ففي هذه الآية رد على المعتزلة القائلين بأن العبد يخلق فعله، ((**إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ**)) أي أنت يا رب موصوف بصفة العلم الذي لا يبتدأ ولا يختتم ولا يزيد ولا ينقص ولا يتغير، وأنت الحكيم أي الْمُحِكِمُ لخلقِ الأشياءِ أي المتقن لخلقك سبحانك.

فوائد منتقاة من معنى هذه الآية: يستفاد من هذه الآية أن العبد مهما علم فإن هذا العلم حاصل له بفضل الله عليه فلا ينبغي أن ينسى الشخص أن علمه محدود وأنه يجهل كثيرا من الأمور فيغفلَ عن قوله لا أدري في محله. وقد قال بعض الشافعية: يُسْتَحَبُّ عِنْدَ إِرَادَةِ الْإِفْتَاءِ أَنْ يقرأ هذه الآية ((**سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ**)).

قَوْلُهُ تعالى: ((**قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ**)) أي سمى كل شيء باسمه ((**قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**)) أي أعلم ما غاب فيهما عنكم مما كان ومما يكون ((**وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ**)) تظهرون ((**وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ**)) تسرون. وفي هذه الآية إثبات صفة العلم لله عز وجل.

قال تعالى: ((**وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ**)) وهذا يدل على أنه لا يعلم كل الغيب إلا الله، وفيها كما قال الرازي بيان فضل العلم والعلماء.

وبعد أن أظهر الله للملائكة فضلَ آدم عليه السلام أمرهم بالسجود له سجود تحية وليس سجود عبادة فإن سجود التحية لإنسان كان جائزا وحُرِّمَ في شرع سيدنا محمد ﷺ، فشرائع الأنبياء فيها شيء من الاختلاف أما دينهم فهو واحد وهو دين الإسلام، قال تعالى: ((**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ**)). وإبليس كانَ من الجنِّ، وكان في أولِ أمرِهِ مؤمِنًا يعبُدُ اللهَ مع الملائكةِ فلذلكَ لَحِقَهُ الأمرُ بالسجودِ لآدَمَ عليه السلام وليس أنه كان من الملائكة، وقد فسَقَ عن أمرِ ربِّهِ ورفَضَ السجودَ لآدم واعتَرَضَ على اللهِ وهذا كفر والعياذُ باللهِ فطُرِدَ من رحمةِ اللهِ ولُعِنَ إلى أبدِ الآبِدين، وفي هذه الآية ردٌّ على من قال إن إبليس لم يكفر بالله والعياذ بالله.

وهذه الجنة التي كان فيها آدم عليه السلام هي جنة الخلد التي يسكنها المؤمنون يوم القيامة، وليست على الأرض، وهذا فيه رد على المعتزلة الذين يقولون إن الجنة غيرُ مخلوقة الآن.

وخلق الله بعد ذلك زوجا لآدم من ضِلَعِهِ وهي حواء عليها السلام، كما جاء في الصحيحين، وقد قال تعالى: ((**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً**))، وبعد ذلك أمر الله تعالى سيدنا ءادم وزوجته حواء التي جعلها حلالا له أن يسكنا الجنة، فقد أباح الله لآدم وحواء سكنى الجنة والأكل من ثمارها إلا شجرةً واحدةً منها.

قال الله تعالى: ((**وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ**))، ومعنى ((**رَغَدًا**)) أي أكلًا رغدًا واسعًا.

وقَوْلُهُ تَعَالَى: (**فَتَكُونا مِنَ الظَّالِمِينَ**) الظُّلْمُ أَصْلُهُ وَضْعُ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ.

قال تعالى: ((**فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ**))، آدم عليه السلام قبل أن يوحى إليه بالنبوة أي وهو في الجنة خالف النهي الذي نهاه الله لأنه أعلمه بالمنع من الأكل من شجرة واحدة من أشجار الجنة وأباح له ما سواها فوسوس الشيطان له ولزوجته حواء أن يأكلا من الشجرة فأكلا منها ولكن ليعلم أن هذه المعصية التي وقع فيها آدم وزوجته هي معصية صغيرة ليس فيها خسة ودناءة نفس وكانت من آدم عليه السلام قبل أن يُنَبَّأ أي قبل أن ينزل عليه الوحي بالنبوة وتاب منها فورا فتاب الله عليه.

تنبيه: الشيطان يوسوس لبني آدم غيرِ الأنبياء بأن يجري منهم مجرى الدم في العروق كما جاء في الحديث أما بالنسبة للأنبياء فإنه يوسوس لهم من بعيد ولا يدخل في أجسادهم.

قال تعالى: ((**وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ**))، وَالهبوط المقصود هنا هو النزول إلى الأرض والخطاب لآدم وحواء وإبليس ((**بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ**)) المراد به ما عليه الكثير من الناس من التباغض والتعادي وتضليل بعضهم لبعض ((**وَلَكُمْ فِي الأرض مُسْتَقَرٌّ**)) موضع استقرار أو استقرار ((**ومتاع**)) وتمتع بالعيش ((**إلى حِينٍ**)) إلى يوم القيامة أو إلى الموت.

وفي سورة الأعراف يقول الله تعالى حكاية عن آدم عليه السلام وزوجته حواء: ((**قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**))، وليس في قول آدم عليه السلام ((**قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا**)) أنه وقع في كبيرةٍ وهي الظلم أو أنه يخشى عليه أن يكون من المعذبين الخاسرين في الآخرة هذا مستحيل على الأنبياء، إنما هو من قبيل التضرع والتواضع لربه.

قال تعالى: ((**فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**))، وقد ذكر العلماء روايات عديدة في بيان هذه الكلمات على التحديد، ومن ذلك ما رواه الحاكم في المستدرك والبيهقي في الدلائل وغيرهما عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَمَّا اقْتَرَفَ آدَمُ الْخَطِيئَةَ، قَالَ: يَا رَبِّ أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ لَمَا غَفَرْتَ لِي، فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا آدَمُ! وَكَيْفَ عَرَفْتَ مُحَمَّدًا وَلَمْ أَخْلُقْهُ؟ قَالَ لِأَنَّكَ يَا رَبِّ لَمَّا خَلَقْتَنِي بِيَدِكَ وَنَفَخْتَ فِيَّ مِنْ رُوحِكِ رَفَعَتُ رَأْسِي فَرَأَيْتُ عَلَى قَوَائِمِ الْعَرْشِ مَكْتُوبًا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ، فَعَلِمْتُ أَنَّكَ لَمْ تُضِفْ إِلَى اسْمِكَ إِلَّا أَحَبَّ الْخَلْقِ إِلَيْكَ، فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: صَدَقْتَ يَا آدَمُ إِنَّهُ لَأُحِبُّ الْخَلْقِ إِلَيَّ وَإِذْ سَأَلْتَنِي بِحَقِّهِ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ، وَلَوْلَا مُحَمَّدٌ مَا خَلَقْتُكَ**».اهـ

فائدة: هذا الحديث يدل على جواز التوسل بالنبي ﷺ حتى قبل ولادته وبيان أن له جاها ومنزلة عظيمة عند الله عز وجل.

قال تعالى: ((**فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**))، قال القرطبي: أَيْ قَبِلَ تَوْبَتَهُ، أَوْ وَفَّقَهُ لِلتَّوْبَةِ. ووَصَفَ نَفْسَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِأَنَّهُ التَّوَّابُ أي الذي يقبل توبة عبده.

أما مدة إقامته في الجنة وعمره عليه السلام، فقد اختلف العلماء في مقدار مُقام ءادم عليه السلام في الجنة، وَنزل إلى الأرض يوم الجمعة.

تنبيه: لا يقال طرد الله ءادم من الجنة لأن هذا اللفظ فيه تحقير لسيدنا ءادم عليه السلام.

وبعد أن نزل آدم إلى الأرض أمره الله ببناء الكعبة فكان هو عليه السلام أولَ من بناها.

وقد روى البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال: (**احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَام عِنْدَ رَبِّهِمَا فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى قَالَ مُوسَى أَنْتَ آدَمُ الَّذِي خَلَقَكَ الله بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ وَأَسْكَنَكَ فِي جَنَّتِهِ ثُمَّ أَهْبَطْتَ النَّاسَ بِخَطِيئَتِكَ إِلَى الْأَرْضِ فَقَالَ آدَمُ أَنْتَ مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاكَ الله بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلَامِهِ وَأَعْطَاكَ الْأَلْوَاحَ فِيهَا تِبْيَانُ كُلِّ شَيء وَقَرَّبَكَ نَجِيًّا فَبِكَمْ وَجَدْتَ الله كَتَبَ التَّوْرَاةَ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ قَالَ مُوسَى بِأَرْبَعِينَ عَامًا قَالَ آدَمُ فَهَلْ وَجَدْتَ فِيهَا: ((وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى)) قَالَ نَعَمْ قَالَ أَفَتَلُومُنِي عَلَى أَنْ عَمِلْتُ عَمَلًا كَتَبَهُ الله عَلَيَّ أَنْ أَعْمَلَهُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَسُولُ الله ﷺ فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى**). أما قول موسى لآدم عليهما الصلاة والسلام: «**خَيَّبْتَنَا**» معناه كنت سببًا في خروجنا من الجنة بأكلك من الشجرة. وأما قول آدم لموسى عليهما السلام: «**اصْطَفَاكَ الله بِكَلَامِهِ وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ**» فمعناه خطت لك التوراة بعناية الله وليس معناه أن الله له يدٌ جارحة وبها خط التوراة. وقول آدم لموسى: «**أَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدَّرَهُ الله عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً**» فهذا اللوم ليس لمعصية فيها خسة ودناءة واللوم يكون أحيانًا على غير معصية وقوله: «**قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً**» هذا بالنسبة للكتابة التي في اللوح المحفوظ

وأما تقدير الله فأزلي. وهذا الحديث دليل لأهل السنة والجماعة في إثبات أن كل شيء بتقدير الله، فالله تعالى قدَّر الخير والشر، وهذا الموافق لنصوص الشرعية.

وفاة آدم عليه السلام: تُوُفِّيَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ.

فائدة: قال ابن الجوزي: حذَّرت قِصَّةُ آدَمَ مِنَ الذُّنُوبِ وَخَوَّفَتْ عَوَاقِبَهَا.

الْقِصَّةُ الثَّانِيَةُ: قِصَّةُ بَقَرَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ:

هي القصة التي سميت سورة البقرة باسمها، وسورة البقرة هي التي ورد في فضائلها الكثيرُ من الأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ، والبقرة المذكورة في هذه السورة العظيمة هي بقرة بني إسرائيل التي سنذكر قصتها، قال الله تعالى: **((وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ، قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ، قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ، قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ، قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ، وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ، فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ))**.

القصة باختصار: قُتِلَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ولم يُعْلَمْ قاتلُه فأتى قريبُه إلى نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام وقال له: إِنَّ قَرِيبِي قُتِلَ وَأَتَى إِلَيَّ أَمْرٌ عَظِيمٌ وَإِنِّي لَا أَجِدُ أَحَدًا يُبَيِّنُ لِي قَاتِلَهُ غَيْرَكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ فَنَادَى مُوسَى فِي النَّاسِ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنْ هَذَا فَلْيُبَيِّنْهُ فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ عِلْمٌ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ قُلْ لَهُمْ فَلْيَذْبَحُوا بَقَرَةً فَعَجِبُوا وَقَالُوا كَيْفَ نَطْلُبُ مَعْرِفَةَ مَنْ قَتَلَ هَذَا الْقَتِيلَ فَنُؤْمَرُ بِذَبْحِ بَقَرَةٍ وَكَانَ مَا قَصَّهُ اللَّهُ تَعَالَى قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ يَعْنِي لَا هَرِمَةٌ وَلَا صَغِيرَةٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِك أَيْ نَصَفٌ بَيْنَ الْبِكْرِ وَالْهَرِمَةِ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا أَي صَاف تسر الناظرين أَيْ تُعْجِبُهُمْ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لنا ماهي الْآيَةَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُول أَي لم يذلها الْعَمَل تثير الأَرْض يَعْنِي لَيْسَتْ بِذَلُولٍ فَتُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْث يَقُولُ وَلَا تَعْمَلُ فِي الْحَرْثِ مُسَلَّمَةٌ أَيْ من الْعُيُوب لَا شية فِيهَا أَيْ لَا بَيَاض قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ قَالَ وَلَوْ أَنَّ الْقَوْمَ حِينَ أُمِرُوا بِذَبْحِ بَقَرَةٍ اسْتَرْضَوْا أَيَّ بَقَرَةٍ كَانَتْ لَأَجْزَأَتْ عَنْهُمْ وَلَكِنَّهُمْ شَدَّدُوا فَشُدِّدَ عَلَيْهِمْ وَلَوْلَا أَنَّهُمِ اسْتَثْنَوْا فَقَالُوا وَإِنَّا إِن شَاءَ الله لَمُهْتَدُونَ لَمَا اهْتَدَوْا إِلَيْهَا أَبَدًا فوجدوها واشتروها فَذَبَحُوهَا فَأَخَذُوا جزءً مِنْهَا فَضَرَبُوا بِهِ الْقَتِيلَ فَعَاشَ فَسَمَّى لَهُمْ قَاتِلَهُ ثُمَّ مَاتَ مَكَانَهُ وقُتِلَ قاتلُه قصاصا.

فوائد من هذه الآيات: هذه الآيات التي تذكر قصة بقرة بني إسرائيل فيها أسلوبُ تقديم وتأخير وهو سائغ من الأساليب المستعملة في لغة العرب، فقَوْلُهُ تَعَالَى: ((**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً**)) مُقَدَّمٌ فِي التِّلَاوَةِ، أي نقرأه في القصة في القرآن الكريم أولَ شيء، وَقَوْلُهُ: ((**وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ، فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا**

كَذَلِكَ يُحْيِي اللهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)) مُقَدَّمٌ فِي الْمَعْنَى عَلَى جَمِيعِ مَا ابْتَدَأَ بِهِ مِنْ شَأْنِ الْبَقَرَةِ. قَوْلُهُ تَعَالَى: ((**قالُوا أَتَتَّخِذُنا هُزُوًا**)): قال القرطبي: وَلَا يَصِحُّ إِيمَانُ مَنْ قَالَ لِنَبِيٍّ قَدْ ظَهَرَتْ مُعْجِزَتُهُ وَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ بِكَذَا: أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا؟ وقال أيضا: فِي الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى مَنْعِ الِاسْتِهْزَاءِ بِدِينِ اللهِ وَدِينِ الْمُسْلِمِينَ وَمَنْ يَجِبُ تَعْظِيمُهُ، وَأَنَّ ذَلِكَ جَهْلٌ وَصَاحِبُهُ مُسْتَحِقٌّ لِلْوَعِيدِ.اهـ فالاستهزاء بالله أو بنبيه أو بشريعته كفر مخرج من الإسلام وإن كان على وجه الهزل. قَوْلُهُ تَعَالَى: ((**قالُوا ادْعُ لَنا رَبَّكَ**)) هَذَا تَعْنِيتٌ مِنْهُمْ وَقِلَّةُ طَوَاعِيَةٍ، وَلَوِ امْتَثَلُوا الْأَمْرَ وَذَبَحُوا أَيَّ بَقَرَةٍ كَانَتْ لَحَصَلَ الْمَقْصُودُ، لَكِنَّهُمْ شَدَّدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَشَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ. وكان الصحابة والعلماء ينهون عن السؤال فيما لا يُحتاج إليه.

وفِي قِصَّةِ الْبَقَرَةِ هَذِهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ شَرْعَ مَنْ قَبْلَنَا شَرْعٌ لَنَا ما لم يَرِدْ نسخٌ، وَقَدْ قَالَ تعالى: ((**فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ**))، فلا يخفى أن شرائع الأنبياء اختلفت بعض أحكامها لكن دينَهم واحد وهو الإسلام فكلهم دعا إلى التوحيد وإلى عبادة الله.

قوله تعالى: ((**كَذلِكَ يُحْيِي اللهُ الْمَوْتى**)) أَيْ كَمَا أَحْيَا هَذَا بَعْدَ مَوْتِهِ كَذَلِكَ يُحْيِي اللهُ كُلَّ مَنْ مَاتَ فهو القادر على كل شيء، فالله تعالى قَادِرٌ لا يعتريهِ عجزٌ ولا فتورٌ وهوَ القادرُ على كلِّ شيءٍ ولا يعجزُه شيءٌ.

خلاصة: ما جرى في هذه القصة يدل على عظيم قدرة الله وأنه قادر على إحياء الموتى.

الْقِصَّةُ الثَّالِثَةُ: قِصَّةُ هَارُوْتَ وَمَارُوْتَ:

هاروت وماروت من الملائكة الكرام وهم مخلوقات عظام من مخلوقات الله تعالى ذكرهم الله في القرآن ومدحهم، وإن من أصول عقائد المسلمين أنه يجب التصديق بالملائكة، وهم عباد مكرمون ليسوا ذكورا ولا إناثا يسكنون السماء، فقد روى التِّرْمِذِيّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ مَرْفُوعًا: (**أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا وَعَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ**).

تنبيه: المفهوم من هذا الحديث أن السماواتِ مليئةٌ بالملائكة الكرام، وهذا دليل لأهل السنة أن الله لا يسكن السماء فلو كان ساكنا السماء لكان يزاحم الملائكة وهذا لا يجوز.

والملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون ولا يتناسلون، وحقيقتهم أجسامٌ نورانيَّة، وكلهم رضوان الله عليهم أولياء الله، ذوو أجنحة، وهم قادرون على التشكُّل بأشكال مختلفة، وجبريل أشرف الملائكة، وصفه الله بقوله: ((**ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ**))، وليس المراد بقوله تعالى: ((**ذِي الْعَرْشِ**))، أنه يجلس على العرش، لا، فربنا لا يوصف بالجلوس ولا بالقعود ولا بالتغير ولا بالانتقال، وإنما معنى الاستواء في قوله تعالى: ((**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ**)) أي أنه تعالى حفظ العرش وقهره من أن يسقط على السماوات والأرض فيدمرَها تدميرا.

والملائكة هم أكثر المخلوقات عددا وكلهم يصلون على سيدنا محمد ﷺ.

تنبيه: اشتهر على ألسنة الناس أن جبريل لا ينزل إلى الأرض بعد موت النبي ﷺ. قال الإمام السيوطي رحمه الله: وهذا شيء لا أصل له.

والملائكة من أفاضل خلق الله عز وجل، وهم عباد مكلفون لا يختارون إلا طاعة الله عز وجل، وهم مُوكَلون بأعمال شتّى، وتجب العصمة مُطلَقًا مِن كُلِّ ذنبٍ لجميع الملائكة الكِرام البَرَرة، فلا يجوز عليهم الصغيرة مُطلَقًا فضلًا عمّا هو أشنَع منها كالكبائر والكفر، فلا يصدر منهم معصية قَطُّ. والنصوص التي تدلّ على عِصمة الملائكة صريحةٌ وكثيرةٌ.

قال الله تعالى: ((**وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**)).

القصة التي حصلت: كان الكفار يقولون عن سيدنا سليمان إنه كان مَلِكًا من الملوك وإنه كان يعمل بالسحر، وكَذَبوا فالسحر ليس مِن شأن الأنبياء فلا يتعاطى نبيٌّ من الأنبياء السّحر ولا يتلبَّس به، إنما الله سبحانه وتعالى أعطاه سرًّا فسخَّر له الشياطين وهيَّأهم لخدمته فكانت الشياطين تُطيعُهُ مع كفرهم، كانوا يخدمونه من غير أن يؤمنوا، يعملون له أعمالًا شاقةً، ومَنْ خالفه يُنْـزِلُ الله تعالى به عذابًا في الدنيا، لذلك كانوا مقهورين له،

فلمّا مات كتبوا السحر ودفنوه تحت كرسيّهِ، ثم قالوا للناس بعد أن ظهر بعضُهُم أو عدد منهم: هل تدرون بِمَ كان يحكمكم سليمان؟ كان يحكمكم بالسحر، احفروا تحت كرسيّه، فحفروا فوجدوا هذا الكتاب فصدَّقوا أن هذا الكتاب لسليمان وأنه وَضَعَ فيه السحر فَكَفَروا، الذين صدَّقوا الشياطين كفروا، لأن السحر ليس مِن عمل الأنبياء. هاروت وماروت ملكان أمرهما الله تعالى أن ينـزلا إلى الأرض ويعلّما الناس السحرَ لا ليعملوا به بل ليعرفوا حقيقته وليميّزوا بين السحر والمعجزة، فكانا يعلّمان الناس ذلك مع التحذير، يقولان للناس: نحن فتنة أي محنة وابتلاء من الله واختبار نعلّمكم ولا تكفروا أي لا تعتبروا السحر حلالًا إنما تتعلّمون فقط، كانا يعلّمانهم ما يكون من السحر من نوع التفريق بين اثنين متحابّين، ثم الناس الذين تعلّموا منهما بعضُهُم ما عَمِلَ بهذا السحر الذي تعلّمه، وبعضهم عَمِلوا به وعَصَوْا ربَّهم.

تحذير: لا صحَّة أبدًا للقصّة التي تقول إن هاروتَ وماروتَ ملكان أنزلها الله للأرض فشربا الخمر وزنيا وقتلا رجلا فمسخهما الله كواكب والعياذ بالله، فلا صحة ولا سند يثبت لمثل هذه الافتراءات على ملائكة الله الكرام.

فوائد من معنى الآية الكريمة: فيها التحذير البليغ من الاشتغال بالسحر تعلُّمًا وتعليمًا، فالسِحرُ حرام والنَبيُّ ﷺ قال: **(ليسَ منَّا مَن تَكَهَّنَ أو تُكُهِنَ له أو سَحَر أو سُحِرَ له)** رَواهُ الطَبَرانيّ، وَمِنْ أَعْمَالِ السّحَرَة وَأَقْوَالِهِمُ الْخَبِيثَةِ أَنّهُمْ يَسْتَنْجِدُونَ بِالشّيَاطِينِ، ومِنَ السِحر ما يكون للتَفريق بينَ الأزواج ومنهُ ما يَكونُ للتَنافُر، ويوجد كتب قد انتشرت بين الناس في هذه الأيام فيها تعليم السحر ونشره بين الناس فليحذر منها.

ماذا يفعل المسحور: الذي يُبتلى بِهذا السِحر فليُحصّن نفسه أولا، ثم إنه ثبت في أحاديث النبي ﷺ تنبيهات وأمور يفعلها المسحور ليشفى بإذن الله.

تنبيه: قد يحصل أن يعمل شخص سحرا لنبي وأن يُلحِق به ضررا في بدنه كما فعل بعض اليهود سحرا للنبي ﷺ كما روى البخاري لكن لا يحصل أن يؤثر السحر على عقولهم ولا أن يتصرفوا بلا إرادةٍ.

قوله تعالى: ((**وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ**)) الإذنُ هُنَا المَشِيئَةُ، وهذا فيه هدمٌ لمَذهَبِ المعتَزِلةِ لأنّهم يَقُولُونَ الْمَعاصِي لَيسَتْ بِمِشِيئَةِ اللّهِ تَحْصُلُ.

الْقِصَّةُ الرَّابِعَةُ: بِنَاءُ الْكَعْبَةِ الشَّرِيْفَةِ زَمَنَ إِبْرَاهِيْمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

معلوم أن بناء الكعبة مرتبط ذكرُه بذِكْرِ خليل الله ونبيِّه إبراهيمَ وابنِه إسماعيلَ عليهما الصلاة والسلام، فإن بناء إبراهيمَ وإسماعيلَ للكعبة هو المذكورُ في كتاب الله عز وجل وإن كانت بُنيت قبل ذلك كما قال جمهور الفقهاء.

أما إبراهيم عليه السلام فهو يأتي في المرتبة الثانية بين البشر في الفضل بعد نبينا محمد ﷺ، فهو الذي قال عنه ربنا عز وجل: ((**إِنَّ إِبْرَاهِيْمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيْمٌ**))، والأوَّاه هو الرحيم.

ما معنى قولنا الخليل إبراهيم؟ الخليلُ هو الذي بلغَ مقامَ الخُلّةِ وهي الغايةُ في الانقطاعِ إلى عبادةِ الله.

لماذا سمي إبراهيم خليلَ الله؟ سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ يُوَالِي وَيُعَادِي فِي اللَّهِ تَعَالَى، وأطلق لفظ: "خليل الله على إبراهيم ومحمد صلى الله عليهما وسلم"، وهو نبي كريم من أنبياء الله تعالى قال عنه سيدنا محمد ﷺ كما في الصحيحين: ((**وَإِنَّ أَوَّلَ الْخَلَائِقِ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ**))، معناه أنه أول الخلائق يكسى من حلل أهل الجنة، وقد ثبت أن إبراهيم عليه السلام فعل أمورا لم يسبقه إليها أحد، ومن ذلك: أنه أَوَّلَ النَّاس اخْتَتَن، وأَوَّلَ النَّاس قَصَّ شارِبَه، والصحيح أَنَّه وُلد بأَرض العراق بإِقْليم بابل.

إسماعيل عليه السلام: هو أَوّل من سُمِّيَ بهذا الاسم من بني آدَمَ، كان له عليه السّلام فضائل عديدة: منها أَنّ لغتَه كانت لُغَةَ العَرَب، وإِليه يرجع أَنْسابُهم.

وسنتناول جانبا وقصة من حياة سيدنا إبراهيم وهي مذكورة في القرآن الكريم وهي قصة بناء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام للكعبة الشريفة:

قال الله تعالى: ((**وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ، وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ، وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ، وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا**

إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ، رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)).

القصة: أمر الله تبارك وتعالى إبراهيم عليه الصلاة والسلام ببناء الكعبة وبوأه الله مكانه أي أرشده إليه ودله عليه، فسار إبراهيم عليه السلام إلى مكة المكرمة، فلما وصل إلى مكة وجد إسماعيل يُصلح نبلًا له وراء زمزم فقال له: يا إسماعيل إن الله قد أمرني أن أبني بيتًا، قال له إسماعيل: فأطع ربك، فقال له إبراهيم: قد أمرك أن تعينني على بنائه، قال: إذن أفعل، فقام إبراهيم إلى مكان البيت، فجعل يبني وإسماعيل يناوله الحجارة، وكلما أنهيا بناء صف منها ارتفع مقام إبراهيم به حتى يبني الذي فوقه، وهكذا حتى تمت عمارتها.

ومقام إبراهيم هو حجر كان يقف عليه إبراهيم عند بناء الكعبة وضعه له ابنه إسماعيل ليرتفع عليه لما تعالى البناء، والمقصود أن إبراهيم الخليل بنى أشرف المساجد في أشرف البقاع في وادٍ غير ذي زرع، ودعا لأهلها بالبركة وأن يرزقوا من الثمرات مع قلة المياه وعدم الأشجار والزروع والثمار وأن يجعله الله حرمًا ءامنًا. كذلك سأل إبراهيمُ عليه السلام اللهَ أن يبعث فيهم رسولًا منهم أي من جنسهم وعلى لغتهم الفصيحة البليغة يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ويطهرهم. وقد استجاب الله تعالى دعوة نبيه إبراهيم فبعث في العرب وفي أشرف القبائل منهم رسولًا عظيمًا وهو سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين ﷺ. وعندما أكمل إبراهيم بناء الكعبة قال لابنه إسماعيل: إيتني بحجر حسن أضعه على الركن فيكون للناس علمًا، فأتاه جبريل عليه السلام بالحجر الأسود فأخذه ووضعه موضعه. والكعبة هي أول بيت وضع في هذه الأرض لعبادة الله تعالى.

وبعد أن فرغ إبراهيم عليه السلام من بناء البيت الحرام مع إسماعيل أمره الله أن يؤذن في الناس بالحج فأذن ودعاهم إلى حج بيت الله الحرام، وروي أنه نادى: أيها الناس إن الله قد كتب عليكم الحج إلى البيت العتيق، وخرج إبراهيم عليه الصلاة والسلام مع ولده إسماعيل وقاما بمناسك الحج، وروي أن جبريل هو الذي أرى إبراهيم كيف يحج.

وقد ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: إن إبراهيم قام على الحجر فقال: يا أيها الناس إن الله فرض عليكم الحج فأسمع من كان في أصلاب الآباء وأرحام النساء ممن ءامن وكتب الله أنه يحج إلى يوم القيامة، فأجاب: لبيك اللّٰهُمَّ لبيك. حسّن ذلك الحافظ ابن حجر. وَقَدْ كَانَتْ الكعبة عَلَى بِنَاءِ الْخَلِيلِ مُدَّةً طَوِيلَةً، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ بَنَتْهَا قُرَيْشٌ.

فوائد منتقاة من معاني الآيات: يقول الله تعالى: ((**وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**))، أَيْ: وَاذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابَيْنِ ابْتِلَاءَ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ أَيِ: اخْتِبَارُهُ لَهُ بِمَا كَلَّفَهُ بِهِ مِنَ الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي (فَأَتَمَّهُنَّ) أَيْ: قَامَ بِهِنَّ كُلِّهِنَّ.

قوله تعالى: ((**قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**))، معناه جَعَلْنَاكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا يَأْتَمُّونَ بِكَ فِي هَذِهِ الْخِصَالِ، وَيَقْتَدِي بِكَ الصَّالِحُونَ، وقوله ((**قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**)) قَالَ الزَّجَّاجُ: وَهَذَا قَوْلٌ حَسَنٌ، أَيْ لَا يَنَالُ أَمَانِي الظَّالِمِينَ، أَيْ لَا أُؤَمِّنُهُمْ مِنْ عَذَابِي يوم القيامة.اهوفي هذا المعنى إثبات على أن الذي يكون آمنا يوم القيامة هو المؤمن لا غير.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ((**وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا**)) ((**الْبَيْتَ**)) يَعْنِي الْكَعْبَةَ. ((**مَثابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا**)) أَيْ مَرْجِعًا، يقال: ثاب يثوب مثابا ومثابة. وَالْأَمْنُ حِفْظُ النَّاسِ مِنَ الْأَضْرَارِ.

وقد جاء وصف البيت الحرام بأنه آمن في قَوْله تَعَالَى: ((**فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقامُ إِبْراهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كانَ آمِنًا**)) والمعنى: جعل الله الكعبة أمنا وأمانا للناس وهذا محمول على الأغلب عبر الزمن وأمر الناس أن يكون الأمن في الحرم، فلا يمنع هذا أن يحصل فيها عبر الزمن حروب وقتال، فقد دخل الحجاج الحرمَ وقتلِ عبد الله بن الزبير فيه، وكذلك حصل في القرن الرابع ما هو أفظع من قصة مقتل عبد الله بن الزبير عند الكعبة وقُلِعَ الحجرُ الأسودُ من مكانه وابتلي المسلمون بلاء عظيما، وحصل هذا على يد القرامطة لعنهم الله.

من هم القرامطة الباطنية؟ القرامطة هُمْ فِرْقَةٌ مِنَ الزَّنَادِقَةِ الْمَلَاحِدَةِ أَتْبَاعِ الْفَلَاسِفَةِ مِنَ الْفُرْسِ، وهؤلاء القرامطة يقولون بالحلول والاتحاد والعياذ بالله أي بزعمهم أن الله يحل بالعالم أو بأجزاء منه فيقولون عن هذا الله وعن هذا الجدار الله، والعياذ بالله، وكانوا يقولون إن نصوص الشريعة ليست على ظاهرها بل كلها بزعمهم لها معان غير التي تقولون بها، وعندهم يقولون كل نص له تأويل ومعنًى باطني ولذلك سموا الباطنية. وقد قال الفقهاء إِنَّهُ لَيْسَ كُلُّ مُتَأَوِّلٍ يَمْنَعُ عَنْهُ تَأْوِيلُهُ التَّكْفِيرَ.

قوله تعالى: ((**وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقامِ إِبْراهِيمَ مُصَلًّى**))، مقام إِبْرَاهِيمَ يُطْلَقُ عَلَى الْحَجَرِ الَّذِي كَانَ يَقِفُ عَلَيْهِ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ بِنَائِهِ الْكَعْبَةَ لِيَرْتَفِعَ لِوَضْعِ الْحِجَارَةِ فِي أَعْلَى الْجِدَارِ كَمَا أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ، وهذه الآية تدل على بركة هذا المقام واتخاذه مصلًى يدل على جواز

التبرك بالبقاع الشريفة المباركة، فهو موضع مبارك شريف حث القرآن على الصلاة عنده لبركته، وهذا ما فعله النبي ﷺ.

قال تعالى: ((**أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ**))، وهي إضافةُ مِلكٍ وتشريفٍ للكعبةِ لأنّ اللهَ تعالَى لا يَتشرَّفُ بأحَدٍ مِن خَلْقِه، وليس المعنى أن الله يسكنها، لا، فالله تعالى لا يحويه مكان ولا يجري عليه زمان.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ((**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ**))، قوله: ((**بَلَدًا آمِنًا**)) يَعْنِي مَكَّةَ، فَدَعَا لِذُرِّيَّتِهِ وَغَيْرِهِمْ بِالْأَمْنِ وَرَغَدِ الْعَيْشِ.

فائدة: دعا الرسول ﷺ للمدينة كما دعا إبراهيم عليه السلام لمكة المكرمة.

قوله تعالى: ((**قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ المَصِيرُ**)) أي سَأرزقُ أيضًا من كفرَ ممَّن كانَ هُناك لأنَّ رحمةَ اللهِ سبحانَهُ وتعالى في الدُنيا وَسعت المؤمن والكَافِر يُمتَّعُ الكافِرُ قَليلًا أي إلى أجلهِ ثمَّ ألجئِهُ إلى عَذابِ النار وبئسَ المَرجِع في نارِ جَهنَّم، فالْكَافِرُ لا حَسَنَاتِ لَهُ فِي الآخِرَةِ لِأَنَّهُ أُطْعِمَ بِحَسَنَاتِهِ فِي الدُّنْيَا.

قوله تعالى: ((**رَبَّنا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**)): دعا إبراهيم وإسماعيل ربهما عز وجل أن يتقبل منهما عملهما، وهذا فيه إشارة إلى التذلل لله وطلب قبول العمل منه سبحانه.

قال إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ((**رَبَّنَا وَاجعَلنَا مُسلِمَينِ لَكَ**)): أي زِدنَا إخلاصًا لكَ وزدنا انقِيادًا. ((**وَمِن ذُرِّيَّتَنَا أُمةً مُّسلِمَةً لَّكَ**)) أي أمةَ مُحمَّد ﷺ. ((**وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا**)): أي مُتَعبَّدنا. ((**وَتُب عَلَينَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيم**)) أي ما فَرط من تَقصيرِنا، ((**رَبَّنَا وَابعَث فِيهِم رَسُولًا مِّنهُم يَتلُوا عَلَيهِم ءَايَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكمَةَ وَيُزَكِّيهِم**)) دَعوةُ إبراهِيمَ عليهِ السَّلام أن يَبعثَ اللهُ تعالَى في تلكَ الأمَّة من ذُرِّيته رَسولًا منهم يتلوا عليهم دلائلَ وحدانِيَّتك، ((**وَيُزَكِّيهِم**)) وَيُزكِّيهم من الأرجاسِ والشِرك. ((**إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ**)) العَزيز هو الغالِبُ الذي لا يُغلَب والحَكيم الذي يَجعلُ الأُمور في خلقِهِ لِحكمَةٍ أرادَها سُبحانَهُ وتَعالى.

فائدة: تفيد الروايات التاريخية أن الكعبة بنيت إحدى عشرة مرة.

الْقِصَّةُ الْخَامِسَةُ: قِصَّةُ تَحْوِيْلِ الْقِبْلَةِ فِيْ زَمَنِ نَبِيِّنَا ﷺ:

ملخص ما جرى في هذه القصة: قال بعض فقهاء المسلمين -على خلاف في ذلك- إن النبي ﷺ كان يصلي متجها للكعبة ثم صار يصلي متجها للقدس الشريف نسأل الله أن يفك أسره من اليهود الغاصبين ويرزقنا فيه صلاة قبل الممات، و كان النبي ﷺ يجعل الكعبة بينه وبين القدس ثم أُمر بتحويل القبلة فصار يصلي إلى الكعبة الشريفة.

قال الله تعالى: ((**سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ**

عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ، قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ، وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ)).

وقد اختلفت ردود الناس على تحويل القبلة فمن موافق مُسَلِّمٍ أمره لله، ومن معارض، ومن مستهزئ والعياذ بالله تعالى.

تفسير الآيات المتعلقة بتحويل القبلة: أنزل الله عز وجل: ((**سَيَقُولُ السُّفَهاءُ مِنَ النَّاسِ**)) أي الجهّال واليهود والمشركون والمنافقون ((**ما وَلَّاهُمْ**)) أي صرفهم ((**عَنْ قِبْلَتِهِمُ**)) التي كانوا على استقبالها في الصلاة وهي بيت المقدس، والإتيان بالسين الدّالّة على الاستقبال من الإخبار بالغيب ((**الَّتِي كانُوا عَلَيْها قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ**)) أي الجهاتُ كلُّها، فَيَأْمُرُ بالتوجه إلى أية جهة شاء لا اعتراض عليه ((**يَهْدِي مَنْ يَشاءُ**)) هدايتَه.

فائدة: هذه الآية دليل لأهل السنة أن الهداية من عند الله ((**إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ**)) دينِ الإسلام أي ومنهم أنتم دل على هذا ((**وَكَذلِكَ**)) أي كما هديناكم إليه ((**جَعَلْناكُمْ**)) يا أمة محمد ((**أُمَّةً وَسَطًا**)) خيارا عدولا.

بيان وسطية هذه الأمة في العقيدة والأحكام وهذا ما يقبله العقل السليم: فالإسلام دين عدل واعتدال: إن الشريعة الإسلامية تدعو إلى الاعتدال وتحذر من التطرف، وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: **(هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُوْنَ)** رواه مسلم، وعقيدة المسلمين عقيدة وسط يقبلها العقل السليم ويشهد بصحتها الشرع الحنيف، فهي وسط في اعتقادها وبريئة من الغلو والتطرف البغيض والتفرقة المنتنة والأفكار الموبوءة.

فائدة في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة: قَالَ الشَّيْخُ فَخْرُ الدِّينِ بنُ عَسَاكِرَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

اعْلَمْ أَرْشَدَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَاحِدٌ فِي مُلْكِهِ خَلَقَ الْعَالَمَ بِأَسْرِهِ الْعُلْوِيَّ وَالسُّفْلِيَّ وَالْعَرْشَ وَالْكُرْسِيَّ وَالسَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا فِيهِمَا وَمَا بَيْنَهُمَا. جَمِيعُ الْخَلائِقِ مَقْهُورُونَ بِقُدْرَتِهِ لا تَتَحَرَّكُ ذَرَّةٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ لَيْسَ مَعَهُ مُدَبِّرٌ فِي الْخَلْقِ وَلا شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ حَيٌّ قَيُّومٌ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ يَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ. أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ قَادِرٌ عَلَى مَا يَشَاءُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْغِنَى وَلَهُ الْعِزُّ وَالْبَقَاءُ وَلَهُ الْحُكْمُ وَالْقَضَاءُ وَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى لا دَافِعَ لِمَا قَضَى وَلا مَانِعَ لِمَا أَعْطَى يَفْعَلُ فِي مُلْكِهِ مَا يُرِيدُ وَيَحْكُمُ فِي خَلْقِهِ بِمَا يَشَاءُ لا يَرْجُو ثَوَابًا وَلا يَخَافُ عِقَابًا لَيْسَ عَلَيْهِ حَقٌّ يَلْزَمُهُ وَلا عَلَيْهِ حُكْمٌ وَكُلُّ نِعْمَةٍ مِنْهُ فَضْلٌ وَكُلُّ نِقْمَةٍ مِنْهُ عَدْلٌ لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ. مَوْجُودٌ قَبْلَ الْخَلْقِ لَيْسَ لَهُ قَبْلٌ وَلا بَعْدٌ وَلا فَوْقٌ وَلا تَحْتٌ وَلا يَمِينٌ وَلا شِمَالٌ وَلا أَمَامٌ وَلا خَلْفٌ وَلا كُلٌّ وَلا بَعْضٌ وَلا يُقَالُ مَتَى كَانَ وَلا أَيْنَ كَانَ وَلا كَيْفَ كَانَ وَلا مَكَانَ

كَوَّنَ الأَكْوَانَ وَدَبَّرَ الزَّمَانَ لا يَتَقَيَّدُ بِالزَّمَانِ وَلا يَتَخَصَّصُ بِالْمَكَانِ وَلا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ عَنْ شَأْنٍ وَلا يَلْحَقُهُ وَهْمٌ وَلا يَكْتَنِفُهُ عَقْلٌ وَلا يَتَخَصَّصُ بِالذِّهْنِ وَلا يَتَمَثَّلُ فِي النَّفْسِ وَلا يُتَصَوَّرُ فِي الْوَهْمِ وَلا يَتَكَيَّفُ فِي الْعَقْلِ لا تَلْحَقُهُ الأَوْهَامُ وَالأَفْكَارُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ.اهـ

نقلها تاج الدين السبكي في طبقات الشافعية الكبرى وقال بعدها: هَذَا آخر العقيدة وَلَيْسَ فِيهَا مَا يُنكره سني.اهـ

((**لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ**)) يوم القيامة أن رسلَهم بلغتهم ((**وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**)) أنه بلّغكم ((**وَما جَعَلْنَا**)) أي صيّرنا ((**الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْها**)) أولًا وهي جهة بيت المقدس وكان رسول الله ﷺ يصلّي إليها بأمر من الله فصلّى إليها ستة أو سبعة عشر شهرا ثم حَوَّل ((**إِلَّا لِنَعْلَمَ**)) علمَ ظهور، فالله يعلم كل شيء ولا تخفى عليه خافية ((**مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ**)) فيصدّقه ((**مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلى عَقِبَيْهِ**)) أي يرجعُ إلى الكفر شكًّا في الدين وظنًّا أن النبيَّ في حَيرة من أمره، وقد ارتدَّ لذلك جماعة ((**وَإِنْ**)) مخفّفة من الثقيلة واسمها محذوف، أي وإنّها كانَتْ التولية إليها ((**لَكَبِيرَةً**)) أي شاقَّةً على الناس ((**إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ**)) منهم ((**وَما كانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمانَكُمْ**)) أي صلاتَكم إلى بيت المقدس بل يثيبُكم عليها لأن سببَ نزولها السؤالُ عمَّن ماتَ قبل التحويلِ ((**إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ**)) أي المؤمنين ((**لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ**)) في عدم إضاعة أعمالهم، والرأفة شدة الرحمة. ((**قَدْ**)) للتحقيق ((**نَرى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّماءِ**)) أي تَصَرُّفَ وجهِك في جهة السماء تطلُّعًا إلى

الوحي، وتشوُّقًا للأمر باستقبال الكعبة وكان يودُّ ذلك لأنها قبلةُ إبراهيمَ ولأنَّه أَدْعَى إلى إسلامِ العربِ.

فائدة: خص السماء بالذكر في هذه الآية لأنها قبلة الدعاء ومهبط الرحمات والبركات وليس لأن الله يسكنها.

((**فَلَنُوَلِّيَنَّكَ**)) نحوّلنّك ((**قِبْلَةً تَرْضاها**)) تحبُّهَا ((**فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ**)) استقبل في الصلاةِ ناحيةَ المسجدِ الحرامِ أي الكعبةِ ((**وَحَيْثُ ما كُنْتُمْ**)) هذا خطاب للأمة ((**فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ**)) في الصلاة ((**شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ**)) أي التّوليَ إلى الكعبةِ ((**الْحَقُّ**)) الثابتُ ((**مِنْ رَبِّهِمْ**)) لِمَا في كتبِهم من نعتِ النبيِّ ﷺ من أنه يتحوَّلُ إليها ((**وَمَا اللَّهُ بِغافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ**)) قرئت بالتاء أي أيها المؤمنون من امتثال أمره، وبالياء أي اليهود من إنكار القبلة. ((**وَلَئِنْ**)) لام قسم ((**أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ بِكُلِّ آيَةٍ**)) على صدقِك في أمر القبلة ((**ما تَبِعُوا**)) أي لم يتبعوا ((**قِبْلَتَكَ**)) عنادا ((**وَما أَنْتَ بِتابِعٍ قِبْلَتَهُمْ**)) وهذا يَقطع طَمَعَهُ في إسلامِ المعارضين منهم وطمعَهم في عودِهِ إليها ((**وَما بَعْضُهُمْ بِتابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ**)) أي اليهودِ قبلةَ النصارى وبالعكسِ ((**وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْواءَهُمْ**)) التي يدعونك إليها ((**مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ**)) الوحي ((**إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ**)) أي إن اتَّبَعْتَهُم.

الْقِصَّةُ السَّادِسَةُ: قِصَّةُ الَّذِيْنَ أَحْيَاهُمُ اللهُ تَعَالَىْ مِنْ بَنِيْ إِسْرَائِيْلَ:

قال الله تعالى: ((**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ، وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**)).

القصة: خرج جماعة من بني إسرائيل من بلادهم خوفا من الموت فقالَ لَهم اللهُ موتوا فماتُوا جَميعًا ميتَةً واحِدَة في وقتٍ واحِد. ومر عليهم نبي من أنبياء بني إسرائيل وهم موتى، فأحياهم الله تعالى، وفي سبب خروجهم من بلادهم أقوال بين الفقهاء، منهم من قال: إنهم خرجوا خوفا من القتل في الجهاد بعد أن أمروا به، ومنهم من قال: إنهم خرجوا خوفا من الموت بالوباء الذي كان منتشرا في بلادهم.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ((**أَلَمْ تَرَ**)): أي ألم تعلم. قَوْلُهُ تَعَالَى: ((**وَهُمْ أُلُوفٌ**)) اختلف في ذكر عددهم على التحديد، قوله تعالى: ((**حَذَرَ الْمَوْتِ**)) أَيْ لِحَذَرِ الْمَوْتِ، قوله تعالى: ((**فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا**)) أي أَمَرَ مَلَكًا فقال لهم مُبَلِّغًا عن الله تعالى: موتوا.

قيل إِنَّهُمْ خَرَجُوا فِرَارًا مِنَ الْوَبَاءِ.

فائدة: يسن الدعاء برفع الوباء فقد أفرد البخاري بابا في الصحيح سماه بابَ الدُّعَاءِ بِرَفْعِ الْوَبَاءِ وَالْحُمَّى، وسبب انتشار الأوبئة والطاعون هو كثرة الفواحش بين الناس، وقد ذكر الفقهاء آدابا ينبغي على المؤمن فعلها عند نزول الأوبئة، فقد ذكر السخاوي أنه ينبغي الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ عند نزول الأمراض والأوبئة والطاعون، وقد أرشدنا

النبي ﷺ إلى يفعل الشخص عند نزول الوباء مع اعتقادنا الجازم أن ما يحصل وما سيحصل هو بمشيئة الله عز وجل. فكل ما يجري في الوجود هو بتقدير الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ((**وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**)) هَذَا خِطَابٌ لِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ بِالْقِتَالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فِي قَوْلِ الْجُمْهُورِ. وَهُوَ الَّذِي يُنْوَى بِهِ أَنْ تَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا.

فائدة: السميع هوَ السَّامعُ للسِّرِّ والنَّجوى بلا كيفٍ ولا ءالةٍ ولا جارحةٍ وهوَ سميعُ الدعاءِ أي مجيبُهُ.

فائدة: النبيُّ ﷺ وصف الجهاد بأنه ذروة سنام الإسلام فقال ﷺ في حديث الترمذي: (**وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ**) يَعْنِي أَعْلَى الأَمْرِ فِي هذا الدِّين.

عبرة: يستفاد من هذه القصة أيضا بيان أن الله هو المحيي المميت الباعث لعباده يوم الدين القادر على كل شيء الذي لا يعجزه شيء سبحانه.

الْقِصَّةُ السَّابِعَةُ: قِصَّةُ طَالُوْتَ وَجَالُوْتَ:

هذه القصة من قصص القرآن الكريم من سورة البقرة فيها بيان أن الله ينصر عباده الصالحين ولو كانوا قلة من حيث العددُ، هي قصة بعض بني إسرائيل في زمن أحد أنبيائهم وكيف أنه كان في زمانهم ملك يقاتلون تحت رايته اسمه طالوت فنصرهم الله، وفيها بيان كيف آلَ الملك والنبوة لنبي الله داود عليه الصلاة والسلام.

وداود عليه السلام نبي كريم من أنبياء بني إسرائيل مدحه الله في القرآن الكريم وأثنى عليه نبينا ﷺ.

قال الله تعالى: ((**أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ، وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ، وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ، فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا**

مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ، وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ، فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ)).

القصة: أَوحى الله تعالى إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل أن يجعلَ عليهم «طالوت» مَلِكًا وكان رَجُلًا من أجنادهم ولم يكن من بيت المُلك فيهم، فملَّكه الله تعالى عليهم لِقُوتِه الجسمية والعلمية، ولكنَّ بني إسرائيل تمردوا على توليه المُلك، فقال لهم نبيهم: اختاره الله لكم من بَينكم والله أعلم به منكم وهو مع هذا قد زاده بالعلم والجسم، وأصبح «طالوت» مَلِكا على بني إسرائيل وأيّده الله تعالى مع المُلك بعودة التابوت الذي فيه ألواح موسى وعصاه إليهم وكان قد نزع منهم على يد أعدائهم وكان هذا علامة على مُلك «طالوت» عليهم، وخرج طالوت بالجيش ومَرُّوا في طريقهم بنهر فأراد طالوت أن يختبرهم فأمرهم ألا يشربوا منه إلا قليلا من الماء ليبل بها ظمأه، ولم يَبقَ مع طالوت إلا عددٌ قليل قُدّر بثلاثمائة وبضعة عشر رجلا على عدد أصحاب الرسول ﷺ الذين كانوا معه في غزوة «بدر الكبرى» ورجع باقي الجيش، وتابع بهم مَلِكهم «طالوت» لِقتال أعدائهم الكافرين المشركين، والذين كان على رأسهم الملك «جالوت» الذي كان جَبَّارًا طاغيًا يهابه الناس من بني إسرائيل. ولمّا جاوز طالوت والمؤمنون الذين بقوا معه النهر استقل أصحابه هؤلاء أنفسهم عن لقاء عدوهم لكثرتهم ولجبروت ملكهم إلا قليلا منهم ممن ثبّت الله تعالى قلوبهم

وقوّى عزيمتهم، ولمّا تقدمَ طالوت ومن معه من المؤمنين من بني إسرائيل إلى جالوت ومن معه من المشركين وتصافوا للقتال، طلب جالوت قَبل بدء المعركة المبارزة فتقدم إليه شابٌّ شجاع وهو داود عليه السلام، فلمّا أقبل داودُ على جالوت احتقره جالوت وازدراه وحصل قتال بين جالوت الطاغية وداود عليه السلام، فقتل داودُ جالوتَ شرّ قتلة، وانهزم جيش جالوت وآلَ الملك إلى داود عليه السلام.

فائدة: الله يختار من عباده من يشاء سبحانه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، فالله تعالى لا يُعْتَرَضُ عليه فهو يفعله في خلقه ما يشاء ويحكم في ملكه بما يريد، فإن الاعتراض على الله كفر وخروج من الدين.

((**مِنْ بَعْدِ مُوسى**)) أَيْ مِنْ بَعْدِ وَفَاتِهِ، قَوْلُهُ تعالى: ((**قالَ هَلْ عَسَيْتُمْ**)) مَعْنَى هَذِهِ الْمَقَالَةِ: هَلْ أَنْتُمْ قَرِيبٌ مِنَ التَّوَلِّي وَالْفِرَارِ؟ ((**قالُوا وَما لَنا أَلَّا نُقاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**)) الْمَعْنَى: أَيْ وَمَا مَنَعَنَا، ((**وَقَدْ أُخْرِجْنا مِنْ دِيارِنا**)) تَعْلِيلٌ، وَكَذَلِكَ ((**وَأَبْنائِنا**)) أَيْ بِسَبَبِ ذَرَارِينَا. قَوْلُهُ تَعَالَى: ((**فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ**)) أَيْ فُرِضَ عَلَيْهِمْ ((**الْقِتالُ تَوَلَّوْا**)) تركوا ما وعدوا به.

فائدة: الجهاد منه ما يكون بقتال أعداء الدين بالسلاح وهذا أجره عظيم مذكور في كتاب الله وسنة نبيه الكريم ﷺ، ومن الجهاد ما يكون بمجاهدة أعداء الدين بالكلمة والبيِّنَة والحجَّةِ الواضحة التي لا مِراء فيها.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ((**وَقالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طالُوتَ مَلِكًا**)) أَيْ أَجَابَكُمْ إِلَى مَا سَأَلْتُمْ. ((**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفاهُ**)) أَيِ اخْتَارَهُ وَهُوَ الْحُجَّةُ الْقَاطِعَةُ.

فائدة: هذه الآيات تبين فضل العلم والعلماء، فالله تعالى رفع درجة أهل العلم وجعل عملهم عمل الأنبياء، وفي هذه الآيات اختار سبحانه وتعالى طالوتَ ملكا لعلمه، وهذا يبين فضل العلم.

تنبيه: أما ذكره تعالى في وصف طالوت أن الله زاده بسطة في الجسم فهذا يدل على أن الجسم يقبل الزيادة والنقصان، فالله تعالى هو الذي خلق الأجسام وجعلها على هذا الحد لأن كل جسم محدود والمحدود محتاج لمن حدَّه بهذا الحد الذي هو عليه فمن ذلك يُعلَم أن خالق الأجسام ليس جسما، لا هو جسم كثيف يضبط باليد كالإنسان والحجر والشجر ولا هو جسم لطيف لا يضبط باليد كالضوء والظلام.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ((**وَقالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسى وَآلُ هارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلائِكَةُ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**))، قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: وَالصَّحِيحُ أَنَّ التَّابُوتَ كَانَتْ فِيهِ أَشْيَاءُ فَاضِلَةٌ مِنْ بَقَايَا الْأَنْبِيَاءِ وَآثَارِهِمْ، فَكَانَتِ النُّفُوسُ تَسْكُنُ إِلَى ذَلِكَ وَتَأْنَسُ بِهِ وَتَقْوَى.

تنبيه وإشارة: في ذِكْرِ أمرِ التابوت وأن فيه من آثار الأنبياء كموسى عليه السلام وغيره إشارة إلى ثبوت بركة الأنبياء حتى بعد وفاتهم والتبرك به.

تنبيه: قوله تعالى: ((**قالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُوا اللَّهِ**))، يُعَبَّرُ عن الموت بلقاء الله، وليس معناه أن الله يكون في جهة والميت مقابله، لا، فربنا لا تحويه الجهات الست كسائر المخلوقات، لا يحويه مكان ولا يجري عليه زمان.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ((**وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ**))، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ: وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ بِجُنُودِ الْمُسْلِمِينَ لَغَلَبَ الْمُشْرِكُونَ عَلَى الْأَرْضِ، فَقَتَلُوا الْمُؤْمِنِينَ.

الْقِصَّةُ الثَّامِنَةُ: قِصَّةُ مُنَاظَرَةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلنُّمْرُوْد:

قال الله تعالى: ((**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**)).

القصة: أخذ النمرود ينكر على إبراهيم عليه السلام دعوته إلى دين الإسلام، وأن الله تعالى هو ربُّ العالمين لا ربَّ سواه، وأخذ يدّعي عنادًا وتكبرًا أنه هو الإله وقال لإبراهيم: أخبِرْني الذي تعبده وتدعو إلى عبادته ما هو، فقال له إبراهيم عليه السلام: ((**رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ**))، فقال النمرود: أنا أحيي وأميت أي أنا أحيي من أشاء بالعفو عنه بعد أن يكون صدر الحكم عليه بالقتل فينعم بالحياة، وأنا أميت من أشاء بأمري وأقضي عليه بحكمي، ظن نمرود بمقالته هذه البعيدة عن الحقيقة أنه على صواب وأراد المراوغة والاستكبار والعناد، فأراد إبراهيم عليه السلام أن يفحمه بالحجة القوية ويضيق عليه الخناق ويظهر له جهله وسخف عقله أمام قومه، فأعطاه دليلًا قويًا على أن الله تعالى هو الخالق المدبر لهذا العالم، وأن ما ادعاه عنادًا واستكبارًا باطل فقال له: ((**قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ**)) أي أن هذه الشمس مسخرة كل يوم تطلع من المشرق كما سخرها الله الذي هو خالقها وخالق كل شيء، فان كنت كما زعمت

باطلًا أنك تحيي وتميت فأت بهذه الشمس من المغرب، فإن الذي يحيي ويميت هو الذي يفعل ما يشاء ولا يُمانَع ولا يُغالَب، وأمام هذه الحجة الساطعة وقف النمرود مبهوتًا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ((**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ**)) مَعْنَاهُ هَلِ انْتَهَى إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ خَبَرُ الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ أَيْ خَاصَمَ وَجَادَلَ، ((**أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ**)) أَيْ لِأَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ، ((**فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ**)) أَيِ انْقَطَعَتْ حُجَّتُهُ وَلَمْ يُمْكِنْهُ أَنْ يَقُولَ أَنَا الْآتِي بِهَا مِنَ الْمَشْرِقِ.

فوائد منتقاة من معنى هذه الآية الكريمة: **الفائدة الأولى**: قال القرطبي: هذه الآية تَدُلُّ عَلَى إِثْبَاتِ الْمُنَاظَرَةِ وَالْمُجَادَلَةِ بالحق وَإِقَامَةِ الْحُجَّةِ.اهـ

الفائدة الثانية: هذه الآية وما تحوي من ذِكْرِ قصةِ نبي الله وخليلِه إبراهيمَ عليه الصلاة والسلام فيها بيان أهمية استحضار الدليل العقلي في إثبات التوحيد وهذا لا يتأتى من شخص جاهل بعلم التوحيد.

الفائدة الثالثة: في قصة مناظرة الخليل إبراهيم عليه السلام للنمرود بيان مسألة مهمة من أهم مسائل التوحيد وهي إثبات وجود الله عز وجل، وبيان الدليل على وجوده سبحانه، فهو الثَابِتُ الوُجُودِ الذِيْ لَا شَكَّ فِي وُجُودِهِ.

الفائدة الرابعة: هذه القصة فيها إثبات أن الدين الذي دعا إليه جميع أنبياء الله هو التوحيد هو دين الإسلام، فلم يأتِ إبراهيم ولا غيرُه من الأنبياء بغير دين الإسلام، وَحْدَانِيَّةُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَتَوْحِيْدُهُ هُوَ الدِّينُ الَّذِي دَعَا إِلَيْهِ كُلُّ أَنْبِيَاءِ اللهِ تَعَالَى.

معنى الوحدانية التي دعا لها كل الأنبياء: مَعْنَاها أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَيْسَ لَهُ ثَانٍ وَلَيْسَ مُرَكَّبًا مُؤَلَّفًا كَالأَجْسَامِ، ومن مات على التوحيد لا بد أن يكون مآله الجنةَ خالدًا فيها.

الْقِصَّةُ التَّاسِعَةُ: قِصَّةُ الرَّجُلِ الصَّالِحِ عُزَيْرٌ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ:

قال الله تعالى: **((أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))**.

يذكر الله تعالى بعد قصة إبراهيم قصة عزير، وقيل إن عُزَيْرًا من أَنبياء بني إِسرائيل والراجح أنه وليٌّ.

القصة: سَلَّطَ اللَّهُ على بني إسرائيل حَاكِمًا كَافِرًا هُوَ بُخْتَنَصَّر فَغَزَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وأذاقهم الذُّلَّ وَالْهَوَانَ. وَأَخَذَ الأَسْرَى مَعَهُ وَكَانَ مِنْهُمْ عُزَيْرُ الَّذِى اسْتَطَاعَ الْعَوْدَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ بَعْدَ فَتْرَةٍ لَكِنَّهُ وَجَدَهُ عَلَى حَالَتِهِ الْبَالِيَةِ وَقَدْ دُمِّرَ فَمَرَّ بَيْنَهُمْ مُتَعَجِّبًا مِنْ حَالِهِمْ ثم قال: «سُبْحَانَ اللَّهِ الْقَادِرِ عَلَى إِحْيَاءِ هَذِهِ الْمَدِينَةِ وَأَهْلِهَا بَعْدَمَا أَصْبَحُوا عَلَى هَذِهِ الْحَالِ». ثُمَّ تَنَاوَلَ مِنْ تِلْكَ الأَشْجَارِ عِنَبًا وَتِينًا وَمَلأَ مِنْهُمَا سَلَّةً لَهُ ثُمَّ عَصَرَ عِنَبًا فِي وِعَاءٍ وَشَرِبَ مِنْهُ قَلِيلًا وَقَعَدَ يَسْتَرِيحُ تَحْتَ ظِلِّ شَجَرَةٍ وَمَا هِيَ إِلَّا لَحَظَاتٌ حَتَّى أَمَاتَهُ اللَّهُ. وَبَعْدَ سَبْعِينَ سَنَةً مِنْ مَوْتِ عُزَيْرٍ جاء بعض بني إسرائيل لِتَعْمِيرِ الْمَدِينَةِ فَعَمَرُوهَا فِي ثَلاثِينَ سَنَةً وَكَثُرُوا حَتَّى كَانُوا

كَأَحْسَنِ حَالٍ مِنْ رَخَاءِ عَيْشٍ. وَبَعْدَ اكْتِمَالِ مِائَةِ عَامٍ عَلَى مَوْتِ عُزَيْرٍ أَحْيَاهُ اللَّهُ تَعَالَى بِقُدْرَتِهِ الْعَظِيمَةِ وَكَانَ قَدْ أَمَاتَهُ صَبَاحًا ثُمَّ بَعَثَهُ قَبْلَ الْغُرُوبِ بَعْدَ مُرُورِ هَذِهِ الْفَتْرَةِ الطَّوِيلَةِ فَأَحْيَا مِنْهُ أَوَّلَ مَا أَحْيَا قَلْبَهُ لِيُدْرِكَ بِهِ وَعَيْنَيْهِ لِيَرَى بِهِمَا كَيْفِيَّةَ بَعْثِ الأَجْسَادِ فَيَقْوَى يَقِينُهُ ثُمَّ رَأَى عُزَيْرٌ سَائِرَ جَسَدِهِ كَيْفَ يُرَكَّبُ مِنْ جَدِيدٍ ثُمَّ أَتَاهُ مَلَكٌ كَرِيمٌ مِنَ الْمَلائِكَةِ فَقَالَ لَهُ «كَمْ لَبِثْتَ» فَأَجَابَهُ عُزَيْرٌ عَلَى حَسَبِ مَا تَوَقَّعَهُ «لَبِثْتُ يَوْمًا» ثُمَّ رَأَى أَنَّ الشَّمْسَ لَمْ تَغْرُبْ كُلُّهَا بَعْدُ فَقَالَ «أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ» فَأَوْضَحَ لَهُ الْمَلَكُ الْكَرِيمُ قَائِلًا «بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ» فَنَظَرَ إِلَى سَلَّةِ التِّينِ وَالْعِنَبِ مَا زَالَتْ كَمَا قَطَفَهَا طَازِجَةً نَضِرَةً وَإِلَى الشَّرَابِ فِي الْوِعَاءِ لَمْ يَتَعَفَّنْ. ثُمَّ قَالَ لَهُ الْمَلَكُ «وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ» فَنَظَرَ إِلَيْهِ حَيْثُ رَبَطَهُ بِالشَّجَرَةِ فَوَجَدَهُ مَيِّتًا وَعِظَامُهُ قَدْ أَصْبَحَتْ بَيْضَاءَ نَخِرَةً وَقَدْ تَفَرَّقَتْ أَطْرَافُهُ وَبَلِيَتْ، فأحياه الله بقدرته، فَهَبَطَ عُزَيْرٌ إِلَى الأَرْضِ سَاجِدًا لِلَّهِ بَعْدَ أَنْ شَاهَدَ ءَايَةً مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ تَعَالَى الْعَجِيبَةِ الْبَاهِرَةِ وَهِيَ إِحْيَاءُ الْمَوْتَى وَقَالَ «أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ». فعاد عزير لقومه وعِنْدَما علموا حاله وتأكدوا من قوله بأن الله أحياه أَقْبَلُوا عَلَيْهِ وَلَكِنَّهُمْ لِجَهْلِهِمْ لَمْ يَزْدَادُوا إِيـمَانًا بَلْ كَفَرُوا وَقَالُوا عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ تَعَالَى.

فوائد منتقاة من الآية الكريمة: يقول الله تعالى: ((**أَوْ كَالَّذِي مَرَّ**)) اختُلِفَ في هذا المارِّ على هذه القرية بين العلماء، فمنهم من قال هو عزير وهو المشهور بينهم ومنهم من قال غيرَ ذلك ((**عَلَى قَرْيَةٍ**)) اختُلِفَ أيضًا تحديد هذه القرية على التمام والمشهور أنها بيت المقدس، وَسُمِّيَتِ الْقَرْيَةُ قَرْيَةً لِاجْتِمَاعِ النَّاسِ فِيهَا، مِنْ قَوْلِهِمْ: قَرَيْتُ الْمَاءَ أَيْ جَمَعْتُهُ، ((**وَهِيَ خَاوِيَةٌ**)) مَرَّ عَلَيْهَا بَعْدَ تَخْرِيبٍ بُخْتَنَصَّرَ لَهَا، ((**عَلَى عُرُوشِهَا**)) أَيْ سَاقِطَةٌ سُقُوفُهَا، ((**قَالَ**

أَنَّى يُحْيِي هذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِها)) وَذَلِكَ لِمَا رَأَى مِنْ دُثُورِهَا وَشِدَّةِ خَرَابِهَا وَبُعْدِهَا عَنِ الْعَوْدِ إِلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ، **((فَأَماتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عامٍ))** وَظَاهِرُ هَذِهِ الْإِمَاتَةِ أَنَّهَا بِإِخْرَاجِ الرُّوحِ مِنَ الْجَسَدِ **((ثُمَّ بَعَثَهُ))** مَعْنَاهُ أَحْيَاهُ **((قالَ كَمْ لَبِثْتَ))** قيل: سَمِعَ هَاتِفًا مِنَ السَّمَاءِ يَقُولُ لَهُ ذَلِكَ، **((قالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ))** إِنَّمَا قَالَ هَذَا عَلَى مَا عِنْدَهُ وَفِي ظَنِّهِ، **((فَانْظُرْ إِلى طَعامِكَ))** وَهُوَ التِّينُ الَّذِي جَمَعَهُ مِنْ أَشْجَارِ الْقَرْيَةِ الَّتِي مَرَّ عَلَيْهَا **((وَشَرابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ))** وَقَالَ مُجَاهِدٌ:" لَمْ يَتَسَنَّهْ" لَمْ يُنْتِنْ. **((وَانْظُرْ إِلى حِمارِكَ))** قَالَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ وَغَيْرُهُ: وَانْظُرْ إِلَى اتِّصَالِ عِظَامِهِ وَإِحْيَائِهِ جُزْءًا جُزْءًا **((وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ))** قَالَ الْأَعْمَشُ: مَوْضِعُ كَوْنِهِ آيَةً هُوَ أَنَّهُ جَاءَ شَابًّا عَلَى حَالِهِ يَوْمَ مَاتَ، فَوَجَدَ الْأَبْنَاءَ وَالْحَفَدَةَ شُيُوخًا.

تنبيهات وفوائد: كُفْرُ اليهود كان غالبا كفرَ تشبيهٍ أي إنهم يشبهون الله بخلقه، فقالوا عن عزير إنه ابن الله والعياذ بالله تعالى، فجعلوا له من عباده جزء والعياذ بالله تعالى، وكفر اليهود أيضا كفر تشبيه بأن قالوا إن الله خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم تعب واستراح جالسا على العرش في اليوم السابع وهو عندهم يوم السبت والعياذ بالله تعالى، فوصفوا الله بالتعب والجلوس والقعود والاستقرار وهو من صفات الأجسام، فإنه لا يليق بالله أن يكون جالسا.

الْقِصَّةُ الْعَاشِرَةُ: قِصَّةُ إِحْيَاءِ الطُّيُوْرِ لِإِبْرَاهِيْمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

قصة أخرى حصلت مع الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام، هي آخر قصة من قصص القرآن الكريم المذكورةِ في سورة البقرة، وهي كذلك تبين عظيم قدرة الله على إحياء الموتى.

تنبيهات وفوائد قبل الخوض في ذِكْرِ هذه القصة: الفائدة الأولى: الله تعالى على كل شيء قدير وقدرته سبحانه صفة ثابتة له إجماعا.

التنبيه الثاني: الشك في أي صفة من صفات الله الثابتة له إجماعا كفر وخروج من الدين.

التنبيه الثالث: الأنبياء معصومون عن الكفر قبل النبوة وبعدها.

فائدة: ثبت في القرآن والحديث أن إبراهيم عليه السلام نشأ عارفا بالله موحدا له، قال تعالى: ((**وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ**)).

قال الله تعالى: ((**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**)).

القصة: إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان مؤمنًا ومصدقًا بقلبه تصديقًا جازمًا لا ريب فيه أن الله تبارك وتعالى قادر على إحياء الموتى، وإعادة الخلق يوم القيامة، ولكنه أراد أن يزداد بصيرةً ويقينًا، فسأل الله تعالى أن يريه كيف يحيي الموتى بعد موتهم، وهو ما كان جازمًا وقاطعًا في نفسه بأنّ الله يعطيه ما سأل، لكنه كان مؤمنًا بأن الله تبارك وتعالى قادر

على ذلك، لكن كان عنده احتمال أن الله يريه كيف يحيي الموتى واحتمال أنه لا يريهن فأجاب الله تبارك وتعالى سؤال إبراهيم عليه السلام، وأمره أن يأخذ أربعة من الطير، ويتعرف على أجزائها، ثم يفرقها أشلاء وأجزاء، ويجعل على كل جبل منهن جزءً، ثم يدعوهن إليه فيأتينه سعيًا بإذن الله، فلمّا فعل إبراهيم خليل الرحمن ما أمره الله تعالى، صار كل جزء ينضم إلى مثله، وعادت الأشلاء والأجزاء كما كانت وعادت الروح إلى كل طير، ورجعت الطيور الأربعة بقدرة الله ومشيئته إلى إبراهيم عليه السلام، وهو يرى آيات الله البينات وآثار قدرته العظيمة التي تدل أنه تعالى لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السموات فتبارك الله أحسن الخالقين أي أحسن المقدرين.

تنبيه مهم: أمَّا مَا ورَدَ في صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: ((**نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ ﷺ إِذْ قال: ((وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ، قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن، قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي))**). وهوَ جزءٌ مِنْ حديثٍ طويلٍ، فمعنى الحديث: إذا لم أشكَّ أنَا في قدرةِ اللهِ على إحياءِ الموتى فإبراهيمُ أولى بأنْ لا يَشُكَّ فيهِ.اهـ

تنبيه آخر: الذي يشك في قدرة الله ما عرف الله، فهذا ليس مسلما ولا يغفر الله له، أما معنى حديث رسول الله ﷺ الذي فيه: «**كان رجل يسرف على نفسه، فلما حضره الموت قال لبنيه: إذا أنا متّ فأحرقوني ثم اطحنوني ثم ذروني في الريح، فو الله لئن قدر الله عليّ ليعذبني عذابًا ما عذّبه أحدًا**»، وإنما معنى قوله: «لئن قدر الله عليّ» أي ضيّق، فهي كقوله تعالى: ((وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ)) أي ضيّق.

((**وَإِذْ قالَ إِبْراهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتى**)) قال القرطبي: لَا يَجُوزُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمُ الشَّكُّ في قدرة الله فَإِنَّهُ كُفْرٌ، وَالْأَنْبِيَاءُ مُتَّفِقُونَ عَلَى الْإِيمَانِ بِالْبَعْثِ. وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ أَنْبِيَاءَهُ وَأَوْلِيَاءَهُ لَيْسَ لِلشَّيْطَانِ عَلَيْهِمْ سَبِيلٌ فَقَالَ: ((**إِنَّ عِبادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ**))، فَقَوْلُهُ: ((**أَرِنِي كَيْفَ**)) طَلَبَ مُشَاهَدَةَ الْكَيْفِيَّةِ ((**قالَ بَلى وَلكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي**)) أي ليطمئن قلبي بإجابة دعائي، ((**قالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ**)) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَخَذَ طَاوُسًا وَنَسْرًا وَغُرَابًا وَدِيكًا وقيل حمامة بدل النسر ((**فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ**)) الْمَعْنَى أَمِلْهُنَّ إِلَيْكَ، ((**ثُمَّ اجْعَلْ عَلى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا**)) أي ثم جزئهن وفرق أجزاءهن على الجبال ((**ثُمَّ ادْعُهُنَّ**)) قل لهن تعالين بإذن الله ((**يَأْتِينَكَ سَعْيًا**)) أي ساعيات مسرعات ((**وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ**)) لا يمتنع عليه ما يريده ((**حَكِيمٌ**)) فيما يدبر لا يفعل إلا ما فيه الحكمة.

إشارة: في هذه القصص التي ذكرنا والتي تبرهن على قدرة الله تعالى على إحياء الموتى زيادةُ تأكيد لحَقِّيَّةِ عقيدة المسلمين من أن الله يبعث العباد بعد الموت.

الْقِصَّةُ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ: قِصَّةُ وَفْدِ نَجْرَانَ وَقِصَّةُ الْمُبَاهَلَةِ:

أولا نذكر أمرا مهما وهو أن سبب نزول هذه القصص بهذا الترتيب في بداية سورة آل عمران هو قدوم وفد نجران وهم من النصارى للنبي ﷺ ومناظرته لهم في أمر عيسى وإثبات أنه نبي كريم لله وليس ابنا لله. ففي بداية سورة آل عمران تتابعت الآيات في سرد قصة ولادة مريم أمِّ عيسى عليهما السلام، وفي ذكر قصة كفالة زكريا لمريم عليهما السلام، ثم قصة ولادة نبي الله يحي عليه السلام، واصطفاءِ الله لمريم وتبشيرِها بعيسى عليهما السلام، وولادةِ عيسى عليه السلام وذكرِ معجزاته وكُفْرِ بعضِ أتباعِ عيسى ورفعِه إلى السماء وخُتِمَتِ الآياتُ بذكر قصةِ المباهلة. وسُورَةُ آلِ عِمْرَانَ أُنْزِلَ صَدْرُهَا، وَهُوَ ثَلَاثٌ وَثَمَانُونَ آيَةً مِنْهَا، فِي الرَّدِّ عَلَى النَّصَارَى.

قصة المباهلة: نذكرها في هذا الموضع لأن أول القصة مرتبط بآخرها، فوفد نجران عندما سرد لهم النبي ﷺ الآيات والقصص التي تبين أمر عيسى ومريم عليهما السلام دعاهم للمباهلة فأبوا خوفًا مما يترتب على ذلك أن تصيبهم دعوة النبي ﷺ فيهلكوا، قال تعالى: **((فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَأَبْناءَكُمْ وَنِساءَنا وَنِساءَكُمْ وَأَنْفُسَنا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكاذِبِينَ))**. والمُبَاهَلَة الملاعَنَة، وَهُوَ أَنْ يَجْتمع الْقَوْمُ إِذَا اختَلَفوا فِي شَيْءٍ فَيَقُولُوا لَعْنَة اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِ.

تنبيه مهم: ليس معنى المباهلة أن النبي ﷺ يشك في صدق دعوته أو أنه يُظْهِرُ لهم أنه قد نكون نحن الذين على حق أو قد تكونون أنتم، لا، والعياذ بالله، فهو يعلم حق اليقين أنه على حق وأنهم على باطل.

تحذير واجب: يَجِبُ الحَذَرُ مِن قِصّةٍ مكذوبةٍ تَروِيها بعض كُتُب السيرةِ والتاريخ عَن أحَدِ وُفودِ نَصارَى نَجرانَ يقولون فيها: "إنَّ وَفدًا مِن نَصارَى نَجرانَ قَدِموا المدينةَ المنوَّرة ودعاهم النَّبِيّ ﷺ إلى الإسلام فلَم يُسْلِموا ورَضُوا بالجزية، ولَمّا حانَ وقتُ صلاة أولئكَ النَّصارَى قاموا مُتَّجِهين إلى المشرِق"، فعلَى زَعم الراوِي: "أرادَ النّاسُ مَنْعَهُم فقال النّبِيُّ لأصحابِه: دَعُوهم يؤدُّون صلاتَهم في مَسجِدي"، وهذا كذِبٌ وافتراءٌ على رسولِ الله محمَّدٍ ﷺ.

فائدة وقاعدة في الأصول مهم بيانها: الرِّضَا بِالكُفْرِ كُفْرٌ: سَوَاءٌ كَانَ الكُفْرُ صَدَرَ مِنْهُ أَوْ مِنْ غَيْرِهِ، وَقَدْ فَسَّرَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا الآيَةَ: ((**إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ**)) بِقَوْلِهِ: "لِأَنَّ الرِّضَا بِالكُفْرِ كُفْرٌ".

القصة الصحيحة التي حصلت مع وفد نجران: جاء وفد نجران للنبي ﷺ مرتين، المرة الأولى كانوا ستين واحدا ولم يسلموا بل التزموا الجزية وطلبوا من النبي ﷺ أن يبعث معهم رجلا أمينا حتى يأخذ الجزية منهم.

الْقِصَّةُ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: قِصَّةُ وِلَادَةِ أُمِّ عِيْسَىٰ مَرْيَمُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ:

من فضائلها عليها السلام: إِتيانُ الملَكِ بفاكهة الجنَّة لأَجْلها، ونَيْلُها في الشتاء فاكهة الصّيف؛ وتكليمُ الملائكة لها، وغير ذلك من الفضائل، وتكرار ذكرها بالمدح فى نصّ القرآن وسُمِّيَت سورة باسمها.

قال الله تعالى: ((**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ، ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ، إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**)).

قِصَّةُ ولادةِ مَرْيَمَ عليها السلام: يَذْكُرُ الله تَعَالَى في بداية الآيات أَنَّهُ اصْطَفَى آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالْخُلَّص مِنْ ذُرِّيَّتِهِ الْمُتَّبِعِينَ شَرْعَهُ الْمُلَازِمِينَ طَاعَتَهُ، ثُمَّ خَصَّصَ فَقَالَ: وَآلَ إِبْرَاهِيمَ، وكان نبي الله زكريا عليه السلام متزوجًا بإشياع أخت مريم وهذا قول الجمهور، وقيل زوج خالتها إشياع والله أعلم. وكانت حنة زوجة عمران من الصالحات العابدات قد كبِرت وعجزت ولم تلد ولدا، فاشتهتِ الولد ودعت الله تعالى أن يهبَها ولدًا، ونذرت إن رزقها الله تعالى ولدًا أن تجعله من سَدَنة بيت المقدس وخدمه، وحررت ما في بطنها ولم تكن تعلم ما هو، وكان النذر المحرر عندهم هو أن يجعل الولد لله يقوم بخدمة المسجد ولا يبرح منه حتى يبلغ الحلم فإذا بلغ خيّر، فإن أحب أن يقيم فيه أقام وإن أحب أن

يذهب ذهب حيث شاء. فلما وضعت حملها إذا هو أنثى، قالت: ((**وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**)) قال فيه أهل التفسير: قَدِ اسْتُجِيبَ لَهَا فِي هَذَا، كَمَا تُقُبِّلَ مِنْهَا نَذْرُهَا.

الْقِصَّةُ الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: قِصَّةُ كَفَالَةِ زَكَرِيَّا لِمَرْيَمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ:

كفالة زكريا لمريم عليهما السلام: وَهو ما جاء في قوله عز وجل: ((**فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا**)).

القصة: عندما ولدت «حنة» زوجة عمران مريم عليها السلام لفّتها في خرقة وحملتها وانطلقت بها إلى المسجد ووضعتها عند الأحبار العلماء أبناء هارون، وقالت لهم: «دونكم هذه المنذورة» فتنافسوا فيها لأنها كانت بنت إمامهم وسيدهم عمران الذي كان من علماء بني إسرائيل الصالحين وكانوا يقترعون على الذين يؤتون بهم إلى المسجد لخدمته، فقال زكريا عليه السلام وكان نبيهم يومئذ: أنا أحق بها لأن خالتها عندي، فأبوا وطلبوا الاقتراع عليها وقالوا: نطرحُ أقلامنا في النهر الجار قيل هو نهر الأردن فمن صعد قلمه فوق الماء فهو أحق بها، فذهبوا إلى ذلك النهر وألقوا فيه أقلامهم التي كانوا يكتبون بها التوراة فارتفع قلم زكريا فوق الماء ورسبت أقلامهم، فأخذها زكريا عليه السلام وكفلها وضمها إلى خالتها «أم يحيى» واسترضع لها حتى كبرت ووضعها في غرفة في المسجد لا يرقى إليها إلا بسلم ولا يصعد إليها غيره، وكان يغلق عليها الباب ومعه المفتاح لا يأمن عليه أحدًا، وكانت إذا حاضت أخرجها إلى منزله لتكون مع خالتها «أم يحيى».

نشأة مريم عليها السلام وظهور الكرامات عليها: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ((**كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**))، كان نبي الله زكريا عليه السلام يرى من عجائب قدرة الله تعالى ومن الكرامات في حفظ هذه السيدة الطاهرة العفيفة ما يبهر العقول، كان يجد عندها فَاكِهَةَ الصَّيْفِ فِي الشِّتَاءِ وَفَاكِهَةَ الشِّتَاءِ فِي الصَّيْفِ قَالَ يَا مَرْيَمُ مِنْ أَيْنَ لَكِ هَذَا؟ فتقول هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ.

فائدة: في هذه الحادثة المذكورةِ في كتاب الله تعالى دليل لأهل السنة على جواز كرامات الأولياء وظهور خوارق العادات على أيديهم، والوَلِيُّ هُوَ الَّذِي أَدَّى الوَاجِبَاتِ كلَّها وَاجْتَنَبَ المحَرَّمَاتِ كلَّها وَأَكْثَرَ مِنَ النوافلِ.

عبرة: هذا الذي حصل مع مريم عليها السلام فيه عبرة كبيرة لنا بأن نتذكر دائما أن الأرزاق من عند الله.

الْقِصَّةُ الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: قِصَّةُ وِلَادَةِ يَحْيَىْ بنِ زَكَرِيَّا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ:

تمني زكريا عليه السلام أن يأتيه الولد: عندَما رأى زكريا حالَ مريم وما أكرمها الله به طَمِعَ فِي وُجُودِ وَلَدٍ مِنْ صُلْبِهِ، وَإِنْ كَانَ قَدْ أَسَنَّ وَكَبِرَ. ((**قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ**)).

فضائل نبي الله زكريا عليه الصلاة والسلام: هو أَبُو يَحْيَى النَّبِيُّ عَلَيْهِما السَّلَامُ، مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَرسله الله تعالى إِلى بني إِسرائيل، وكان عالمًا بالتوراة، وكان إِمامَ علماء بيت المقدس ومُقدَّمهم، وذكره الله في القرآن الكريم في مواضع كثيرة. ومات نبي الله زكريا عليه السلام قتلا فقد قتله اليهود المجرمون.

فضائل يحي بن زكريا عليهما الصلاة والسلام: كان يحي عليه السلام حسن الصوت حسن الوجه مثل جميع الأنبياء والمرسلين، وكان عليه السلام قويًّا في طاعة الله منذ صباه وقد نشأ نشأة صلاح وتقى وطهر ونقاء كسائر الأنبياء، فقد كان بعيدًا عن مظاهر الترف والنعيم، وقد ذكره الله تعالى في القرآن الكريم في مواضع كثيرة، قال الثعلبيّ: كان مولد يحي قبل مولد عيسى عليهما السلام.

قِصَّةُ زَكَرِيَّا وَيَحْيَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: ذكر الله تعالى تفصيلا كثيرا في قصة زكريا وابنه يحي عليهما السلام في القرآن الكريم في سورة آل عمران وفي سورة مريم، وفي غيرهما من سور القرآن الكريم لم تكن مفصلة، قال الله تعالى: ((**هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ، فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ**

اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ، قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ)).

القصة: كان نبي الله زكريا عليه السلام قد تقدمت به السن وانتشر الشيب في رأسه وبلغ من الكبر عِتيّا، وكانت امرأته عاقرًا لا تلد، فلما رأى من ءايات الله الباهرات عاين هذه الآية والكرامة العجيبة من رزق الله تعالى لمريم أم عيسى عليهما السلام الفاكهة في غير حينها، هنالك رغب في الولد على الكِبر، فطلب من ربه أن يرزقَه غلامًا تقيًّا يرثه في العلم والنبوة ويعلم الناس الخير، وبعدما دعا زكريا عليه السلام ربه أن يرزقه ولدًا صالحًا تقيًّا بشره الله تبارك وتعالى بواسطة الملائكة وهو قائم في محراب المسجد يصلي لله تعالى «بيحيى» نبيًّا من الصالحين، ولما بُشّر نبي الله زكريا عليه السلام بالغلام وبتحقيق البشارة شرع يستعلم على وجه التعجب وجود الولد له وليس على وجه الشك في قدرة الله تعالى على ذلك، فالأنبياء كلهم عارفون بالله تعالى ويعلمون يقينا أن الله عز وجل على كل شيء قدير، فاستجاب الله تبارك وتعالى سؤاله وجعل علامة وجود الحمل أن لا يكلم الناس ثلاث ليالٍ إلا رمزًا من غير علة ولا خرس، فقد كان يكلم الناس بيده وبالإشارة من غير علة ولا خرس ولا مرض ولا آفة، فإذا أراد عليه السلام أن يذكر الله تعالى انطلق لسانه بمشيئة الله وقدرته الذي ينطق من يشاء.

فائدة: مدح الله تعالى يحيى بنَ زكريا عليهما السلام وذَكَرَ بِرَّهُ بِوَالِدَيْهِ وَطَاعَتَهُ لَهُمَا أَمْرًا وَنَهْيًا، وَتَرْكَ عُقُوقِهِمَا قَوْلًا وَفِعْلًا، فَقَالَ: ((**وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا**)).

ثم قال سبحانه في مدح يحيى بن زكريا عليهما السلام: ((**وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا**)) وهَذِهِ الْأَوْقَاتُ الثَّلَاثَةُ أَشَدُّ مَا تَكُونُ عَلَى الْإِنْسَانِ فَإِنَّهُ يَنْتَقِلُ فِي كُلٍّ مِنْهَا.

ويحيى عليه السلام هو الذي مدحه ربه فقال: ((**وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ**))، وهذه الآية في وصف يحيى عليه السلام بأنه سيد، وفيها الرد على من يقول إنه لا يجوز قول "سيدنا محمد" فيقولون: لا تقولوا اللّٰهُمَّ صل على سيدنا محمد وقولوا اللّٰهُمَّ صل على محمد، دون لفظ "سيدنا"، ويكفي في الرد عليهم هذه الآية الكريمة، وغيرها.

وأما معنى الحصور فقد قال العلماء: معنى ((**وحصورًا**)) أنه كان لا يأتي النساء ليس عجزًا بل ترك ذلك عن اختيار منه ولو أراد لاستطاع.

قتل نبي الله يحيى بن زكريا عليهما السلام: قتل عليه اسلام قتلا بسبب امرأة باغية في بني إسرائيل أغرت ملك ذلك الزمان أن يقتله فقتله والعياذ بالله تعالى، ثُمَّ اخْتُلِفَ فِي مَقْتَلِ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا، هَلْ كَانَ فِي الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى أَمْ بِغَيْرِهِ.

عِبَرٌ مستفادة من قصة يحيى وزكريا عليهما الصلاة والسلام: إن المطالع لهذه القصة العظيمة قصةِ مقتل نبيين كريمين من أنبياء الله عز وجل، يعلم أن هذه الدنيا لا تساوي عند الله شيئا.

والعبرة الأخرى التي نستفيدها من قصة هذين النبيين الكريمين، هو بالنظر إلى سبب قتلهما وهو تلك المرأة التي كانت سببا في قتله عليه الصلاة والسلام، ففتنة النساء قديما كانت بين البشر وقد حذر منها نبينا الكريم ﷺ.

الْبِشَارَةِ باصطفاء الله لمريم عليها السلام على نساء العالمين: يَذْكُرُ الله تَعَالَى أَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَشَّرَتْ مَرْيَمَ بِاصْطِفَاءِ اللَّهِ لَهَا، مِنْ بَيْنِ سَائِرِ نِسَاءِ العالمين.

قال الله تعالى: ((**وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ**)).

قالت الْمَلَائِكَةُ: ((**يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ**)) أَيِ اخْتَارَكِ وَاجْتَبَاكِ. ((**وَطَهَّرَكِ**)) أَيْ: مِنَ الْأَخْلَاقِ الرَّذِيلَةِ، وَأَعْطَاكِ الصِّفَاتِ الْجَمِيلَةِ. ((**وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ**)) أي على نساء العالمين على الإطلاق. وبعد هذا قالت الملائكة لمريم عليها السلام: ((**يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ**)). وهذا القول من الملائكة لمريم عليها السلام حثٌّ لها أن تشكر ربها عز وجل على ما أنعم عليها بأن جعلها سيدة نساء العالمين.

بشارة الملائكة لمريم بابنها العبد النبي الرسول عيسى ابن مريم عليهما السلام: يقول الله تعالى: ((**إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ، وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ**)).

قوله تعالى: ((**بِكَلِمَةٍ مِنْهُ**)) أي: بشارتُه التي بشَّرتها بها الملائكة. وأما قوله: ((**اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ**))، فقد قيل: سُمّي نبيُّ الله عيسى عليه السلام بالمسيح لكثرة سياحته في الأرض ليعلّم الناس دين الله وشرعه ويدعوهم إلى عبادة الله وحده، وقيل: إنه سمي بالمسيح لأنه كان يمسح على المريض الأبرص والأعمى وغيرهما فيشفى بإذن الله تعالى ومشيئته. قوله ((**وَجِيهًا فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ**)) قيل: الْوَجِيهُ الَّذِي يَشْرُفُ وَتُوَجِّهُهُ الْمُلُوكُ أَيْ تُشَرِّفُهُ. ((**وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ**)) أي هو مقَرَّبٌ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، أي منزلته عند الله عالية رفيعة. ((**وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ**)) الْمَهْد مَضْجَعُ الصَّبِيِّ فِي رَضَاعِهِ. وَمَهَّدْتُ الْأَمْرَ هَيَّأْتُهُ ووطأته. وقوله: ((**وَكَهْلًا**)) الْكَهْلُ عِنْدَهُمْ مَنْ نَاهَزَ الْأَرْبَعِينَ أَوْ قَارَبَهَا وَقِيلَ مَنْ جَاوَزَ الثَّلَاثِينَ وَقِيلَ ابن ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ.اهـ((**وَمِنَ الصَّالِحِينَ**)) أَيْ وَهُوَ مِنَ الْعُبَّادِ الصَّالِحِينَ.

فائدة: تكلم في المهد جماعة نظم السيوطي رحمه الله تعالى أسماءهم في كتابه قلائد الفوائد، بعضهم ثبت في الأحاديث الصحيحة أنه تكلم في مهده وبعضهم غير ثابت أنه تكلم في المهد.

((قالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قالَ كَذلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشاءُ إِذا قَضى أَمْراً فَإِنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)).

فائدة: قوله: ((**كَذلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشاءُ**))، فيه تصريح بصفة الخلق لله عز وجل فهو الخالق الذي أبرز الأشياءِ مِنَ العدمِ إلى الوجودِ فلا خالقَ إلا هوَ عزَّ وجلَّ ولا يعجزه شيء سبحانه.

وقوله تعالى: ((**إذا قَضى أَمْرًا فَإِنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**))، وهي كقوله تعالى في سورة يس: ((**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ**))، فليس معناه أن الله تعالى يخلق كل العالم في لحظة واحدة إنما معناه يخلُق العالم بدون تعب، بدون مشقّة، بدون ممانع يمانعه. إنما هذا عبارة عن إيجاده تعالى الأشياءَ بدون تعب.

الْقِصَّةُ الخَامِسَةَ عَشْرَةَ: قِصَّةُ وِلَادَةِ عِيْسَىْ بنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ:

ذَكَرَ تَعَالَى هَذِهِ الْقِصَّةَ بَعْدَ قِصَّةِ زَكَرِيَّا، الَّتِي هِيَ كَالْمُقَدِّمَةِ لَهَا وَالتَّوْطِئَةِ قَبْلَهَا، كَمَا ذَكَرَ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ، وقَرَنَ بَيْنَهُمَا فِي سِيَاقٍ وَاحِدٍ، وَكَمَا فِي سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ وكما ذكر في سورة مريم.

ذكرنا أن مريم كانت تعبد الله وتقوم بخدمة المسجد، وكانت تخرج منه في زمن حيضها أو لحاجة ضرورية لا بد منها، وفي ذات يوم خرجت من محرابها الذي كانت تعبد الله تعالى فيه وسارت جهة شرقي بيت المقدس وأمر الله تعالى الروح الأمين وهو جبريل عليه السلام أن يذهب إليها ليبشرها بعيسى عليه السلام وهناك تمثل لها جبريل في صورة شاب جميل أبيض الوجه فلما رأته مريم عليها السلام لم تعرف أنه جبريل ففزعت ثم قالت ما أخبر الله به ((**قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَانِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا**)) أي إن كنت تقيًّا مطيعًا فلا تتعرض لي بسوء، لكن جبريل عليه السلام سرعان ما أزال عنها اضطرابها وهدّأ من روعها وقال لها ((**إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأهَبَ لَكِ غُلاَمًا زَكِيًّا**)) أي أني لست ببشر ولكني ملَك أرسلني الله تعالى إليك لأهب لك غلامًا يكون طاهرًا نقيّا قالت ((**قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلاَمٌ وَلَمْ**

يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا)) أي ليس لي زوج ولست بزانية فقد تعجبت مريم عليها السلام عندما بشرها جبريل بالغلام لأنها بكر غير متزوجة وليست زانية ((**قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا**)) فأجابها جبريل عن تعجبها بأنّ خلق ولد من غير أب سهل هيّن على الله تعالى، وليجعله علامة للناس ودليلا على كمال قدرته سبحانه وتعالى وليجعله رحمة ونعمة لمن اتبعه وصدقه وءامن به. وأمر الله تبارك وتعالى جبريل عليه السلام أن ينفخ في مريم البتول روح عيسى المشرفة عنده فنفخ أمين الوحي جبريل روح عيسى في أعلى جيب قميص مريم عليها السلام فوصلت بنفخته الروح من فم مريم إلى رحمها عليها السلام بقدرة الله وحملت بتلك النفخة بالسيد المسيح عليه السلام قال تعالى ((**وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ**)).

فائدة: في هذه الآية وهي قوله تعالى: ((**فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا**)) وفي قوله تعالى حكاية عن جبريل عليه السلام: ((**لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا**)): أسلوب من أساليب اللغة شائعٌ فيها وهو إسناد الفعل إلى غير فاعله مجازا، فالذي خلق روح عيسى في مريم هو الله عز وجل، والذي وهب عيسى لمريم هو الله عز وجل ولكن الفعلين أسنادا إلى جبريل عليه السلام، وهذا هو إسناد الفعل إلى غير فاعله مجازا، وهناك أمثلة عديدة في القرآن والحديث واللغة على هذا الأسلوب، ومنها حديث النزول والذي يراد منه نسبة النزول إلى الملائكة ولكن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَىْ السَّمَاءِ الدُّنْيَا)، قال النووي وابن حجر وابن فورك والبيهقي وابن الجوزي وغيرهم: أي ينزل ملك ربنا، وقال الإمام مالك: تنزل رحمته.

قال تعالى: ((**فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا**)) وَذَلِكَ لِأَنَّ مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ، لَمَّا حَمَلَتْ اشتدَّ هذا عليها وَعَلِمَتْ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ سَيَكُونُ مِنْهُمْ كَلَامٌ فِي حَقِّهَا.

قَوْلُهُ: ((**فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ**)) أَيْ: فَأَلْجَأَهَا وَاضْطَرَّهَا الطَّلْقُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ.

((**قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا**)) وَقالت مريم عليها السلام هذا القول لأَنَّهَا عَلِمَتْ أَنَّ النَّاسَ يَتَّهِمُونَهَا وَلَا يُصَدِّقُونَهَا، بَلْ يُكَذِّبُونَهَا.

وَقَوْلُهُ: ((**فَنَادَاهَا مَنْ تَحْتَهَا**))، روي عن ابن عباس أَنَّهُ جِبْرِيلُ، قَالَ: وَلَمْ يَتَكَلَّمْ عِيسَى إِلَّا بِحَضْرَةِ الْقَوْمِ. وَقَوْلُهُ: ((**أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا**)) قِيلَ: النَّهْرُ. وَإِلَيْهِ ذَهَبَ الْجُمْهُورُ. فقال لها جبريل: ((**وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا**)) فَذَكَرَ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ، وَلِهَذَا قَالَ: ((**فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا**)) أَيْ: طِيبِي نَفْسًا.

فائدة: قَالَ عَمْرُو بْنُ مَيْمُونٍ: لَيْسَ شَيْءٌ خَيْرًا لِلنُّفَسَاءِ مِنَ التَّمْرِ وَالرُّطَبِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ((**فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا**)) يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ مَرْيَمَ حِينَ أُمِرَتْ أَنْ تَصُومَ يَوْمَهَا ذلك وأن لا تُكَلِّمَ أَحَدًا مِنَ الْبَشَرِ، فَإِنَّهَا سَتُكْفَى أَمْرَهَا وَيُقَامُ بِحُجَّتِهَا، فَسَلَّمَتْ لِأَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ واستسلمت لقضائه.

وقولهم: ((**يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا**)) أَيْ: لَسْتِ مِنْ بَيْتٍ هَذَه شِيمَتُهُمْ وَلَا سَجِيَّتُهُمْ. ((**فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ**)) أَيْ: خَاطِبُوهُ وَكَلِّمُوهُ فَإِنَّ جَوَابَكُمْ عَلَيْهِ، وَمَا

تَبْغُونَ مِنَ الْكَلَامِ لَدَيْهِ. فَعِنْدَهَا قَالَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ جَبَّارًا شَقِيًّا: ((**كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا**)) أَيْ: كَيْفَ تُحِيلِينَنَا فِي الْجَوَابِ عَلَى صَبِيٍّ صَغِيرٍ لَا يَعْقِلُ الْخِطَابَ.

((**قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا**)) هَذَا أَوَّلُ كَلَامٍ تَفَوَّهَ بِهِ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، فَكَانَ أَوَّلَ مَا تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ ((**إِنِّي عَبْدُ اللهِ**)) اعْتَرَفَ لِرَبِّهِ تَعَالَى بِالْعُبُودِيَّةِ، وَأَنَّ اللَّهَ رَبُّهُ.

فائدة: في قول عيسى بن مريم عليهما السلام ((**وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ**)) إثبات أن الأنبياء فيهم بركة ولا سيما سيدنا محمد ﷺ، فإذا كان عيسى مباركًا بنص القرآن فكيف بنبينا محمد ﷺ فهو لا شك مباركٌ وكل ما انفصل عنه مبارك، ويُعْلَمُ من هذا أنه يجوز التبرك بآثاره الشريفة ﷺ كما ثبت في البخاري ومسلم وغيرِهما.

قال: ((**وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا**)) أَيْ: لَسْتُ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ، وَلَا يَصْدُرُ مِنِّي قَوْلٌ وَلَا فِعْلٌ يُنَافِي أَمْرَ اللَّهِ وَطَاعَتَهُ.

فائدة تستفاد من هذه الآيات: وأول قول تكلم به نبي الله عيسى في هذه الدنيا قوله: ((**إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ**))، فمن تفكر في هذا علم أن دينَ عيسى هو دين محمد صلى الله عليهما وسلم وهو دين الإسلام، وهو توحيد الله والدعوة إلى أن تكون عبدا لله عز وجل.

لَمَّا ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى قِصَّتَهُ عَلَى الْوضوح، وَبَيَّنَ أَمْرَهُ وَوَضَّحَهُ وَشَرَحَهُ، قَالَ تعالى عن عبده ونبيه عيسى بن مريم عليهما السلام: ((**ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**))

يَعْنِي مِنْ أَنَّهُ عَبْدٌ مَخْلُوقٌ مِنِ امْرَأَةٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَلِهَذَا قَالَ: ((**مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**)).

فضائل نبي الله عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام: ذكره الله في القرآن الكريم في مواضع كثيرة وهو عبد الله ورسوله عيسى ابن مريم بنت عمران وهو ءاخر أنبياء بني إسرائيل عيشًا في الأرض.

ومن فضائل عيسى وأمه عليهما السلام ما روى الْبُخَارِيُّ في صحيحه عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةَ حَقٌّ، وَالنَّارَ حَقٌّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ**» وفي رواية زَادَ: «**مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ أَيَّهَا شَاءَ**».

توضيح: قال العلماء إنه ينبغي على المسلم أن لا يترك قولَ هذه الشهادة الواردة في هذا الحديث ولو مرة واحدة كلَّ يوم لما فيها من البشارة والفضيلة والنفع العظيم. ففي هذا الحديث توحيد لله عز وجل وفيه ذِكرُ قواعد ومباني الإسلام، وفيه الاعتراف لمحمد ﷺ بالنبوة والرسالة، ولعيسى كذلك وتبرئته عليه الصلاة والسلام مما نسبه إليه اليهود.

مَنْشَأُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَبَيَانُ بَدْءِ الْوَحْيِ إِلَيْهِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى:

لما وُلد عيسى ابن مريم عليه السلام ظهرت أمور عجيبة تعظيمًا لشأن هذا المولود ولما سيكون من أمره في المستقبل من جعله رسولا يدعو الناس إلى عبادة الله تعالى وحده وإلى

الشرع القويم الذي أنزل عليه. كان عيسى ابن مريم عليهما السلام يظهر عليه العجائب بقدرة الله تعالى.

ذكر القرآن الكريم شيئا من أخبار عيسى بن مريم عليهما السلام ومعجزاته: وهذا أمر مثبت فيه حيث يقول الله تعالى في سورة آل عمران: ((**وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ، وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ، وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ**)).

ذكر أهل الحديث والتاريخ والسير وأخبار الناس عن عيسى عليه السلام آثارا كثيرة مما يروى من معجزاته عليه الصلاة والسلام بعضها ذُكر في القرآن الكريم وبعضها لم يذكر فيه، ومن ذلك أنه كان يمشي على الماء.

وروي العديد من الحكم عنه عليه الصلاة والسلام، فقد أنطقه الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وكان هذا أمرا ظاهرا عليه، عليه الصلاة والسلام، فقد روي عن أخبار زهده العديد من الأحاديث والآثار النبوية.

ومن جملة معجزاته عليه السلام ما أخبر الله عنها في القرآن الكريم حيث قال: ((**وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي**))، وهنا معناها تُصَور، وليس معناه أنه يخلق كخلق الله، لا.

تنبيهٌ: لا يجوزُ إطلاقُ لفظِ الخالقِ على غيرِ اللهِ تعالى فهوَ مِنَ الأسماءِ الخاصةِ باللهِ عزَّ وجلَّ.

ولَمَّا بُعِثَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ، جَعَلَ الْكَافِرُونَ وَالْمُنَافِقُونَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَعْجَبُونَ مِنْهُ وَيَسْتَهْزِئُونَ بِهِ فَيَقُولُونَ: مَا أَكَلَ فُلَانٌ الْبَارِحَةَ، وَمَا ادَّخَرَ فِي بَيْتِهِ؟ فَيُخْبِرُهُمْ، فَيَزْدَادُ الْمُؤْمِنُونَ إِيمَانًا، وَالْكَافِرُونَ وَالْمُنَافِقُونَ شَكًّا وَكُفْرَانًا.

أوحى الله من جملة ما أوحى لعيسى بصفة محمد ﷺ ومبعثه وأنه يكون بعده: يقول الله تبارك وتعالى: ((**وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ**)).

رَفْعُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِلَى السَّمَاءِ فِي حِفْظِ اللهِ وَالردُّ من قال بدَعْوَى الصَّلْبِ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ((**وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ**)).

تنبيه: يَسْتَحِيلُ فِي حَقِّهِ تَعَالَى أَيُّ نَقْصٍ. وَأَمّا قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ ءَالِ عِمْرَانَ ﴿**وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ**﴾ فَفِيهِ إِسْنَادُ الْمَكْرِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لَكِنْ فِي سِيَاقِ الْمُشَاكَلَةِ فَلا يَكُونُ كَمَكْرِ الْعِبَادِ، فَالْمَكْرُ مِنَ الْخَلْقِ خُبْثٌ وَخِدَاعٌ لِإِيصَالِ الضَّرَرِ إِلَى الْغَيْرِ بِاسْتِعْمَالِ حِيلَةٍ وَأَمّا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فَهُوَ مُجَازَاةُ الْمَاكِرِينَ بِالْعُقُوبَةِ مِنْ حَيْثُ لا يَدْرُونَ. وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَقْوَى فِي إِيصَالِ الضَّرَرِ إِلَى الْمَاكِرِينَ منْ كُلِّ مَاكِرٍ جَزَاءً لَهُمْ عَلَى مَكْرِهِمْ فَالْمَكْرُ بِمَعْنَى الِاحْتِيَالِ مُسْتَحِيلٌ عَلَى اللهِ.

ذَكَرَ ابْنُ جَرِيرٍ الطبريُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ أَنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَبْلَ أَنْ يُرْفَعَ وَصَّى الْحَوَارِيِّينَ بِأَنْ يَدْعُوَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

اخْتِلَافُ أَصْحَابِ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فيه بَعْدَ رَفْعِهِ إِلَى السَّمَاءِ: اخْتَلَفَ أَصْحَابُ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فيه بَعْدَ رَفْعِهِ إِلَى السَّمَاءِ عَلَى أَقْوَالٍ، كَمَا قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ مِنْ أَئِمَّةِ السَّلَفِ: قَالَ قَائِلُونَ مِنْهُمْ: كَانَ فِينَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فَرُفِعَ إِلَى السَّمَاءِ. وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ اللَّهُ. وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ ابْنُ اللَّهِ. فَالْأَوَّلُ هُوَ الْحَقُّ، وَالْقَوْلَانِ الْآخَرَانِ ضلالٌ عَظِيمٌ، كَمَا قَالَ: ((**فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ**)).

بَيَانُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنِ الْوَلَدِ:

قَالَ تَعَالَى فِي آخِرِ سُّورَةِ مريم بعد ذِكرِه قصة عيسى ومريم عليهما السلام: ((**وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا**)) أَيْ شَيْئًا عَظِيمًا، وَمُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا. ((**تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا وَمَا يَنْبَغِي**

لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا)).

وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَتَقَدَّسَ: ((يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا، لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا)).

نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان:

نزول سيدنا المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام في آخر الزمان ثابت في القرآن والحديث الثابت الصحيح والإجماع، قال الله تعالى: ((وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ))، روى ابن حبان عن ابن عباس عن النبي ﷺ في قوله تعالى: وإنهُ لعلمٌ للساعة. قال: نزول سيدنا عيسى ابن مريم قبل يوم القيامة.

نُزُولُ الْمَسِيحِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلامُ مِنَ السَّمَاءِ ثَابِتٌ بِالأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ فَقَدْ رَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ وَأَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ وَالْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ - يَعْنِي عِيسَى عَلَيْهِ السَّلامُ - وَإِنَّهُ نَازِلٌ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَاعْرِفُوهُ: رَجُلٌ مَرْبُوعٌ إِلَى الْحُمْرَةِ

وَالْبَيَاضِ، بَيْنَ مُمَصَّرَتَيْنِ كَأَنَّ رَأْسَهُ يَقْطُرُ وَإِنْ لَمْ يُصِبْهُ بَلَلٌ، فَيُقَاتِلُ النَّاسَ عَلَى الإِسْلامِ فَيَدُقُّ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيُهْلِكُ اللَّهُ فِي زَمَانِهِ الْمِلَلَ كُلَّهَا إِلَّا الإِسْلامَ، وَيُهْلِكُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ، فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً ثُمَّ يُتَوَفَّى فَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ). وَمِنَ الأُمُورِ الْعَجِيبَةِ الَّتِي تَحْصُلُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ أَيْضًا أَنَّ اللَّهَ يُنْطِقُ الشَّجَرَ وَالْحَجَرَ فَيَقُولُ لِلْمُسْلِمِ: يَا مُسْلِمُ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي تَعَالَ فَاقْتُلْهُ إِلَّا شَجَرَ الْغَرْقَدِ فَإِنَّهُ لا يَدُلُّ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ مِنْ شَجَرِهِمْ.

ثُمَّ إِنَّ الْمَسِيحَ عَلَيْهِ السَّلامُ لَمَّا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ يَنْزِلُ وَيَدَاهُ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، يَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ كَمَا ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ إِنَّ الْمَسِيحَ لَمَّا يَنْزِلُ يَلْتَقِي مَعَ الْمَهْدِيِّ فِي بِلادِ الشَّامِ، وَالشَّامُ لَيْسَتْ سُورِيَا فَقَطْ بَلْ الْأُرْدُنُّ وَفِلَسْطِينُ وَلُبْنَانُ كُلُّ هَذَا شَامٌ. وَحَدُّ الشَّامِ مِنَ الْعَرِيشِ إِلَى بَالِسِ.

وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ: **(ثُمَّ يُتَوَفَّى فَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ)** يُعْلَمُ مِنْهُ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يُمِتْهُ بَعْدُ إِنَّمَا رَفَعَهُ حَيًّا مِنَ الأَرْضِ إِلَى السَّمَاءِ يَقْظَانَ، وَمَنْ قَالَ إِنَّهُ قَدْ تُوُفِّيَ مِنْ غَيْرِ قَتْلٍ وَلا صَلْبٍ فَقَدْ غَلِطَ، ثُمَّ إِنَّ الرَّسُولَ ﷺ وَصَفَ لَوْنَهُ فَفِي رِوَايَةٍ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ: (أَنَّهُ ءَادَمُ). الآدَمُ مَعْنَاهُ الأَسْمَرُ، وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّهُ وَصَفَهُ بِالأَحْمَرِ، فَمَعْنَى الرِّوَايَاتِ أَنَّهُ لَيْسَ أَبْيَضَ مُشْرِقًا بَلْ هُوَ أَسْمَرُ سُمْرَةً خَفِيفَةً مَعَ شَيْءٍ مِنَ الْحُمْرَةِ وَبَيَاضٍ خَفِيفَيْنِ، فَالَّذِي وَرَدَ فِي الْبُخَارِيِّ أَنَّهُ أَسْمَرُ أَمَّا فِي أَبِي دَاوُدَ وَرَدَ أَنَّهُ أَبْيَضُ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**﴾ [سُورَةَ ءَالِ عِمْرَان/55] فَبِحَسَبِ اللَّفْظِ

مُتَوَفِّيكَ مُقَدَّمٌ، أَمَّا بِحَسَبِ الْمَعْنَى مُتَوَفِّيكَ مُؤَخَّرٌ وَرَافِعُكَ مُقَدَّمٌ، فَالتَّرْتِيبُ بِحَسَبِ الْمَعْنَى: إِنِّي رَافِعُكَ إِلَيَّ أَيْ إِلَى مَحِلِّ كَرَامَتِي أَيِ الْمَكَانِ الَّذِي هُوَ مُشَرَّفٌ عِنْدِي وَهُوَ السَّمَاءُ، وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَيْ مُخَلِّصُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَيِ الْيَهُودِ، وَمُتَوَفِّيكَ أَيْ بَعْدَ إِنْزَالِكَ إِلَى الأَرْضِ، أَيْ مُمِيتُكَ بَعْدَ إِنْزَالِكَ إِلَى الأَرْضِ، هَذَا هُوَ الْقَوْلُ الصَّحِيحُ الْمُوَافِقُ لِلأَحَادِيثِ، وَهَكَذَا فَسَّرَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ عَبَّاسٍ تَرْجُمَانُ الْقُرْءَانِ الآيَةَ، أَيْ مِنْ بَابِ الْمُقَدَّمِ وَالْمُؤَخَّرِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى**﴾ [سُورَةَ الأَعْلَى] الْغُثَاءُ الْيَابِسُ الْمُتَكَسِّرُ وَالأَحْوَى الأَخْضَرُ، وَالنَّبَاتُ أَوَّلًا يَكُونُ أَحْوَى أَيْ أَخْضَرَ ثُمَّ يَكُونُ غُثَاءً أَيْ يَابِسًا مُتَكَسِّرًا. وَيَجُوزُ تَفْسِيرُ ﴿**مُتَوَفِّيكَ**﴾ أَيْ قَابِضُكَ مِنَ الأَرْضِ وَأَنْتَ حَيٌّ ﴿**وَرَافِعُكَ إِلَيَّ**﴾ أَيْ إِلَى مَحَلِّ كَرَامَتِي، كِلا التَّفْسِيرَيْنِ جَائِزٌ، إِنَّمَا الَّذِي لا يَجُوزُ تَفْسِيرُ مُتَوَفِّيكَ بِمَعْنَى مُمِيتُكَ قَبْلَ رَفْعِكَ إِلَى السَّمَاءِ وَإِنْزَالِكَ إِلَى الأَرْضِ.

خَـاتِـمَـةٌ:

رحمةُ اللهِ بالمؤمنِ عظيمةٌ كبيرةٌ فهو سبحانه الذي أسبَغَ علينا نِعَمَه ظاهرةً وباطنةً، نحن نحمدُه تعالى حمدًا كثيرًا على إنعاماتِه وهِباتِه وعطيَّاتِه الواصلَةِ إلينا والفائضةِ علينا يعني نشكرُه عليها ((**وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ**)). ومِنْ رحمةِ اللهِ بنا أنْ رزَقَنا الإيمانَ وجعلنا مِنْ أمةِ سيِّدِنا محمدٍ ﷺ مِنْ أهلِ السنةِ والجماعةِ في زمنِ غُربةِ الإسلامِ الذي ذَكَرَهُ رسولُ اللهِ ﷺ فقد أخبرَ رسولُ اللهِ ﷺ عن حالِ زمانِنا هذا بقولِهِ: ((**إِنَّ الدِّينَ بَدَأَ غَرِيبًا وَيَرْجِعُ غَرِيبًا فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ الَّذِينَ يُصْلِحُونَ مَا أَفْسَدَ النَّاسُ مِنْ بَعْدِي مِنْ سُنَتِي**))، وقدْ جاءَ

مِنْ قولِهِ ﷺ: ((**إِنَّ اللَّهَ لا يَقبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوْسًا جُهَّالًا فَسُئِلُوْا فَأَفْتَوا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوْا وَأَضَلُّوْا**)).

نعمة الإيمان أعظم النعم التي يجب أن نحافظ عليها ونثبت عليها إلى الممات وهذا لا يكون بلا علم، وعلم الدين ليس فكرة مستحدثة أو فضلة لا قيمة لها، كلا وحاشا، بل هو سبيل النجاة من فتن الدنيا وعذاب الآخرة، ومن عرف هذا ينبغي عليه الثبات على العلم، في صيف وشتاء في ليل ونهار، بلا كلل ولا ملل، بل يبقى العاقل على الاستزادة من علوم الدين تعلما وتعليما، وكل من يعين على نشر الدين ينبغي علينا أن نعينه، لماذا؟ لأننا نحب هذا الدين العظيم، ونحب نبينا الكريم ﷺ الذي تعب وجاهد لنشر هذه الأحكام والفضائل، ولأننا قبل كل هذا نحب الله تعالى، فدين الإسلام هو الدين الذي رضيه الله لعباده الصالحين، والذي يجب علينا استدامة البقاء عليه حتى الموت، قال تعالى: ((**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**)). وقال تعالى: ((**تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**)).

نسأل الله أن يثبتنا على الحق ويثبت الحق بنا ويزيدنا علما ويثبتنا عليه بجاه نبينا الكريم ﷺ.